الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم السيد مدير ادارة المجلات

٢٧ شارع عبد الخالق ثروت بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ سنويا ويضاف أجر البريد من خارج ج.ع.م

العدد ١٠٧٦ - الخميس ١٩ ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ - ٢٧ أغسطس ١٩٦٤ م - السنة الثانية والعشرون

التجديد الديني

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٤ -

وهذه قضية أطرحها وأناقش مسائلها على أساس من فهمي للتجديد عند المسلمين .

ومناقشتي لهذه القضية ودراستي لها انما تبدأ من القرآن الكريم ، وتنتهي الى حيث تكون النتائج ملائمة للعادات والتقاليد التي نعرفها في النصف الثاني من القرن العشرين .

وانا حين اقول بملاءمة النتائج لروح العصر الذي نعيش فيه لا اقصد ابدا الى ان افهم الآيات القرآنية فهما ملتويا ، ولا أن أقوم بتأويلها تأويلا قسريا بعيدا عن روح الآيات وعن روح الاسلام كما عرف به القرآن الكريم - وانما أقصد الى أن معاني الآيات القرآنية كانت ولا تزال تعبيرا عن خطوط رئيسية كبرى في التشريع ، وانها كانت ولا تزال من المرونة بحيث تلبى الاحتياجات البشرية ، وبحيث تثبت حقا أن التشريع الاسلامي تشريع خالد ، وانه صالح لكل زمان ، ولكل مكان .

ان صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان لاتكون أبدا بحيث نعمل على رد أحوال المعاصرين الى عادات الأقدمين في المعاملات . وانما تكون بحيث نعاود فهم الآيات القرآنية على أساس من التقدم العلمي ، ومن الحركة الفكرية الناشطة ، ومن الثقافات الانسانية التي انتهت اليها البشرية في أيامنا هذه .

والقضية التي أطرحها اليوم ليست قضية خاصة بالمعاملات التي يدور حولها حديثي عن التجديد الديني ، وانما هي قضية من قضايا العبادات ، انها قضية تتصل بركن من أركان الاسلام هو الحج .

واختياري لهذه القضية يقوم على عدة أسباب :

الاول : أن التجديدالديني حين يثبت لهذه القضية باعتبارها من قضايا العبادات ، يثبت حتما لقضايا المعاملات ، تلك التي تقوم أولا وأخيرا على المصلحة العامة ، واحتياجات الناس .

الثاني : أن الجانب الاجتماعي في مسائل الحج من الوضوح بحيث يستطيع الباحث أن يدرك الحكمة في كثير من مسائله على أساس اجتماعي خالص ، أساس تراعى فيه مصلحة الجماعات التي تجيء من كل فج ، والقرآن الكريم هو الذي يشير الى هذا حين يقول :

« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » .

الثالث : ان الحج من مسائل العبادات القديمة التي ادخل عليها الاسلام كثيرا من التعديلات لتصبح ملائمة لروح العصر الذي نزل فيه القرآن الكريم .

والتعديلات التي أدخلها القرآن الكريم كانت تغييرات في العادات والتقاليد ، كما كانت تغييرات

فى الأفكار الدينية التى قامت عليها هذه العادات الدينية أو تلك التقاليد الاجتماعية .

والآيات التى نزلت فى شأن هذه التعديلات كثيرة نذكر من بينها :

١ – كان رجال من الطبقة التى تعد نفسها رفيعة أو ممتازة –من قريش خاصة– يرون لانفسهم امتيازا على الناس بسبب شرف بيوتاتهم ، وكانوا يرون أن هذا الامتياز يخولهم الا يسلكوا طريق الحجاج العامة فى الرجوع من عرفات أو المشعر الحرام .

كما كانت هناك بطون أو بيوتات معروفة ترى أن لرؤسائها الحق فى الافاضة أولا بحيث لا يفيض أحد الا اذا أفاض رئيس هذا البطن أو البيت ، فكان الناس يقفون محجوزين ينتظرون افاضة هذا الرئيس ليفيضوا من ورائه .

وعمد القرآن الى تغيير هذه العادات ، والى تقرير حق المساواة ، فقال تعالى :

(ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم ، وان كنتم من قبله لمن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) .

٢ – وقد كان للعرب تقليد هو عقد مجالس المفاخرة ، وانشاد الأشعار ، وتعديد مفاخر الآباء والقبائل .

ولقد كان يدور جدل عظيم حول كل هذه الاشياء قد ينتهى بالمهاترة ، فانزل الله الآيات البينات التى تبطل بعض هذه العادات أو تحل أخرى محلها .

يقول تعالى : **(الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال فى الحج، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب) .**

ويقول تعالى : **فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) .**

٣ – وقد كانوا يذبحون الهدي عند الأوثان والأنصاب فى فناء الكعبة ويذكرون أسماء أوثانهم وأنصابهم أثناء الذبح فنهى القرآن الكريم عن هذا وأوجب ذكر اسم الله عند الذبح .

يقول الله تعالى : **(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) .**

ويقول : **(حرمت عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، ..... وما ذبح على النصب)**

٤ – وقد كان من عادتهم أن يلطخوا جدران الكعبة بدماء الهدى ظنا منهم أن فى هذا تقربا الى رب البيت .

كما كانوا يتأثمون من أكل لحوم الهدى . ويتركونها للفقراء والمساكين والسباع والجوارح .

وجاء القرآن فأبطل عادة تلطيخ جدران الكعبة بالدماء وأباح لهم أن يأكلوا من لحوم الهدى والقلائد (الأضاحى) .

يقول الله تعالى : **(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين) .**

ويقول تعالى **(فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) .**

ويقول : **(فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) .**

تلك هى الاسباب الدافعة الى الاختيار .

اما القضية المطروحة الآن فهى :

ان حجاج بيت الله الحرام يسوقون معهم الهدى والقلائد او الاضاحى يقدمونها قربانا لله ٠

وهذه العادة قديمة يردها القرآن الكريم الى زمن ابراهيم عليه السلام ٠

وقد عدل القرآن الكريم بعض العادات الجاهلية التى تتعلق بالاضحيات كما سبق أن وضحنا ، ولم يذكر القرآن الكريم فيما ذكر من آيات أن تترك هذه الاضاحى نهبا للسباع والجوارح ٠

لقد ذكر القرآن الكريم اطعام القانع والمعتر ، واطعام البائس الفقير ٠

وأباح القرآن الكريم للذين يسوقون الهدى والقلائد ، ويقدمون الضحايا ـ أن ياكلوا من لحومها ٠

وكانت الأضاحى فى تلك الايام من القلة العددية بحيث يمكن أن تؤكل جميعها ، أو بحيث لا يبقى منها للسباع والجوارح الا الأجزاء التى لاتطيب للانسان ٠

لقد كان الاسلام أيام نزول القرآن الكريم محصورا فى الجزيرة العربية ، اما بعد أن وقف نزول الوحى بوفاة النبى عليه السلام ، فقد خرج الاسلام الى بلدان كثيرة بحكم الفتح ، وبحكم انتشار الدعوة بفضل الدعاة ، وترتب على ذلك زيادة عدد المسلمين زيادة كبيرة ٠

***

ان المسلمين اليوم يسوقون معهم عند حج بيت الله الحرام من الهدى والقلائد ومن الأضاحى ما يتجاوز المليون ٠

وان حجاج بيت الله يتركون هذه الأضاحى فى محال ذبحها ـ يتركونها لتكون مستنقعاللقاذورات، وموطنا للأوبئة ٠

وان حجاج بيت الله حين يفعلون ذلك انما يضيعون على أنفسهم وعلى الفقراء والبائسين مايجاوز عشرة ملايين من الجنيهات هي أثمان هذه الأضاحى ٠

ونحن ندعو اليوم الى تغيير هذه العادة ٠

ندعو الى استخدام النظريات العلمية والصناعات الحديثة فى الاحتفاظ بهذه اللحوم أطول مدة ممكنة لتكون طعاما للبائس الفقير ٠

ان الصناعات الحديثة يمكنها الاحتفاظ بهذه اللحوم فى ثلاجات كبيرة ، كما يمكنها أن تعلبها لتبقى محفوظة للفقراء والمساكين طوال العام ، اى من العام للعام ٠

اننا ندعو الى اقامة شركة للانتفاع بهذه اللحوم، شركة يتكون راس مالها من بعض رسوم الحج ٠٠ ويكون عملها الانتفاع بهذه الضحايا ـ الانتفاع باللحوم والجلود ، والانتفاع بالروث والعظام ، وكل ذلك لصالح الفقراء والمساكين ٠

ان مثل هذه الشركة تفتح أبواب الامل أمام الفقراء ٠

ان طعامهم سيوفر لهم طول العام ٠

وان الأيدى العاملة ستكون منهم لتنقذ بعضهم من وهدة الفقر وسوء الحال ٠

ان الجلود تستخدم فى صناعة الاحذية ، وان الروث يستخدم فى صناعة الاسمدة ، وان العظام تستخدم فى كثير من الصناعات ٠

وهذه الدعوة تصطدم بالعادات والتقاليد ٠٠ ولكنها لاتصطدم أبدا بآيات القرآن الكريم ٠

ليس من الآيات البينات ما يعارض هذه الدعوة ، وانما الذى يعارضها هى العادات التى جرى عليها المسلمون ٠

***

والآن اى الدعوتين اسلم ، واليق بروح الدين ، وبحضارة القرن العشرين ، دعوتنا الجديدة او عاداتنا وتقاليدنا القديمة ؟ ٠

انى اترك القضية بين ايدى القراء ، ويكفينى ان اقول : ان هذا لون من الألوان التى اقصد اليها حين ادعو الى التجديد ٠

الثروات الطبيعية والتصنيع
من خلال آيات القرآن الكريم

بقلم: محمد محمد المدنى

- ٣ -

لفت القرآن الكريم انظار الناس الى **البحار والانهار** فى كثير من الآيات ، وتحدث عن الثروات الطبيعية فى كل منهما ، مبينا انواع هذه الثروات المسخرة الميسرة للانسان ، من حيوانات حية كثيرة التوالد تنتج اللحوم الطرية ، ومن أصناف معدنية تختلف قيمتها ونفعها ، كالملح ، واللؤلؤ ، والمرجان ، والأصداف ، ومن طاقات هوائية تحرك المياه ، وتجعل منها امواجا مضطربة احيانا ، هادئة احيانا ، دافعة للسفن الكبيرة والصغيرة ، تزجيها الى حيث يريد الانسان ان يرحل عن طريق البحار والأنهار ، كما يرحل فى البر الى حيث يشاء عن طريق الدواب المسخرة ، والمراكب الميسرة :

فيقول الله تعالى فى شأن الانعام بنعمة البحار:

« وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة على ايجازها عدة معان ينبغى الوقوف عند كل منها للتأمل فيه ، وادراك مدى الفضل والانعام به ، ثم لادراك مايوحى به من توجيه الى العمل والسعى والاستخراج والصنعة والانتفاع :

فاول ذلك انه جل شأنه اخبرنا بانه « **سخر البحر** » والتسخير سوق الى الغرض المختص قهرا ، والمسخر هو المفيض للفعل ، والله تعالى هو وحده المسخر للأشياء المهيىء لها على طبيعة وقوانين كونية تجعلها منبعثة الى اداء وظيفتها ، وتحقيق الغاية منها ، وليس هناك احد غير الله يفيض ويسخر ويهيىء الأشياء على هذا النحو ، فاذا رأينا الانسان يسخر شيئا او يفيضه لأداء وظيفة وجهه اليها بالعلم والاختراع ، فلنعلم انه انما استطاع ذلك لاستعماله القوانين الطبيعية ، وانتفاعه بالنواميس الكونية التى هى من صنع الله وحده ، فكل اختراع وكل تسخير يستطيعه الانسان انما هو من الله أصلا ، لان جميع مواده وقوانين صنعه واختراعه ، والهداية اليه ، كلها من الله « الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى »

والقرآن الكريم حريص على ان يذكر نعمة الله فى ذلك وفى امثاله على اسلوب الحصر المفيد انه من الله وحده ، ليغرس فى نفوس العباد الجذور العميقة للايمان بجانب لفتهم الى الحقائق فى ذاتها ، ولذلك قال « وهو الذى سخر البحر » وعلى هذا النحو قوله تعالى « الله الذى خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج به الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره ، وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر

دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار » وقوله جل شانه « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » وقوله تبارك اسمه « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير » « انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق » الى غير ذلك .

والتسخير الذى معناه التهيئة والسوق الى الغرض المختص ، يظهر انه من فعل الله وتدبيره اذا تأملنا البحر فعرفنا انه يشغل ثلاثة ارباع الكرة الأرضية ، وان اعماقه تختلف باختلاف الجهات فمنها ما يصل الى اثنى عشر الف من الأمتار او اكثر ، ومنها ما هو قريب جدا حتى ان البواخر ترتطم فى شعابه ، وان فيه جبالا تشبه جبال الأرض ووديانا تشبه وديانها ، وان جزره ما هى الا قمم جبال بحرية بلغت سطحه وارتفعت عنه ، وان الآراء العلمية قد اختلفت فى سبب ملوحة مائه فلم تصل الى تعليل واضح ، وأن أوزان مائه تختلف أيضا باختلاف المناطق كما تختلف اعماقه ، وكذلك انواع اسماكه وحيواناته، وسرعة امواجه ، وقوانين مده وجزره ، كل ذلك فيه دلالة عظمى على رب الكون الاعظم جل جلاله، وعلى انه سخره ويسره واقام امره على قوانين ونواميس منه لا من غيره فسبحان الخلاق العظيم.

والثانى مما تضمنته هذه الآية الكريمة هو المذكور فى قوله تعالى « لتاكلوا منه لحما طريا » ، وهو حديث مجمل يراد به لفت الانظار الى أهم الثروات الطبيعية فى البحار ، وهى الثروة السمكية .

والقرآن الكريم لا يسميها « الثروة السمكية » كما تعودنا ، بل لايذكر لفظ السمك نفسه فى مجال الامتنان بما هيأ لنا فى البحر من طعام ، وذلك لأن حيوانات البحر متعددة متلونة مختلفة الأحجام والاشكال متفاوتة الطبائع والمذاقات ، وهى تكون عالما باسره اعظم واوسع واعجب من عالم البر ، فالتعبير عن هذه الحيوانات بلفظ الأسماك لايصور حقيقة امرها تصويرا مستوعبا ، ولذلك لجأ القرآن الكريم الى الوصف لا الى التسمية فقال « لتاكلوا منه لحما طريا » ليشمل هذا الوصف كل لحم لأى حيوان بحرى

والحيوانات البحرية كثيرة ، بعضها صغير ، وبعضها كبير ، وبعضها يشبه بعض الحيوانات البرية ، وبعضها لاشبيه له فى البر ، كما أن ماءه لا ينضب ، فحيواناته لاتنفد ، وقد هياها الله على وضع من شانه ان يكثر معه توالدها وتكاثرها .

وفى عالم البحار مناطق مازالت بكرا لم يطرقها الانسان بعد ، ومناطق طرقها وخبر انواعها ، واستغلها فى حرفة الصيد استغلالا عظيما ، ومنها تصدر ملايين الأطنان من الاسماك ، وعلى هذه الأطنان التى تتوالى ولا ينفد مددها تقوم بلاد باسرها ، وصناعات بفنها ، وتجارات باسواقها وارباحها .

والثالث مما تضمنته هذه الآية قوله تعالى « وتستخرجوا منه حلية تلبسونها » وهذه الحلية أنواع ، منها المتخذ من اللؤلؤ ، ومنها المتخذ من المرجان ، ومنها المتخذ من الأصداف ، ومنهاالمتخذ من القواقع التى تجمع فتصير عقودا ، والتى يصنع منها كثير من انواع الزينة فى المتاع المنزلى وغيره .

وان فى هذه الانواع وغيرها لثروات طبيعية هياها الله تعالى للانسان ، ووجهه الى ترقيتها وتهذيبها بالصناعة والفن حتى يبلغ بهاأوج التثمير والتعمير ، ويستنبط منها ما يصلح به شانه ، وتسعد به حياته .

والرابع مما تضمنته الآية الكريمة قوله تعالى «وترى الفلك مواخر فيه» وهو حديث عن السفن

فيه امتنان بها كأدوات يستعملها الانسان فى أسفاره عبر البحار وينتقل بها من قارة الى قارة ، ومن دنيا الى دنيا ، ويرتبط بها ادنى من فى المعمورة باقصى ساكنيها ، وفيه ايضا امتنان بالريح المسخرة لدفع الفلك وتسييرها ، اذ هو يقول « وترى الفلك مواخر فيه » ، فهو من مخرت السفينة مخرا : اذا شقت الماء بمقدمها مستقبلة له ، والسفينة ماخره ، والجمع مواخر ، وانما يكون شقها للماء بدفع الريح اياها ، وقد سميت السفن الحديثة بالبواخر جمع باخرة ، لأنها تسير بالبخار فاشتق لها هذا الاسم منه ، او ابدلت الميم باء فصارت الماخرة والمواخر باخرة وبواخر .

والله تعالى يمتن على عباده بالفلك وبتعليمهم صناعتها ، فى مثل قوله جل شانه « ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر » ، « فاوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا » ، « فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين » ، « ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون » ، « وحملناه على ذات الواح ودسر ، تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر ، ولقد تركناها آية فهل من مدكر » .

وتاريخ صناعة السفن يدل على أن الانسان كان فى أقدم عهوده بدائيا يتخذ من جذوع الأشجار ما يسير به فى الماء ، محاذيا الشواطىء لا يجرؤ على الابتعاد عنها ، ثم ترقى فافرغ تلك الجذوع وسواها فصار لها تجويف يستطيع أن يستقر فى داخله مبتعدا عن بلل الماء ، فلما عرف الحديد اتخذ منه آلات للنشر والنجر والقطع ، وأدوات للوصل والتثبيت ، وهكذا صار يترقى من حال الى حال ، حتى وصل الآن الى ما لم يكن يخطر للأولين على بال ، اذ هناك من السفن الآن ما يعد مدنا عائمة فيها كل مافى المدن الثابتة على ظهر الارض من متاع ورسائل حياة ، وهذه السفن كما هو معروف .. منها ما هى ناقلات بضائع أو جنود ، ومنها ما هى حاملات طائرات وعتاد ، ومنها ما هى بوارج ، ومنها ما هى سفن أسفار ورحلات .. الى غير ذلك .

ولا شك أن السفن وصناعتها وما تحققه للانسان من أغراض عظيمة ، هى بذاتها عالم واسع الأرجاء ، ونعمة من النعم العظمى التى أنعم الله بها على الانسان .

والخامس مما ذكرته الآية الكريمة فيما سخرت له البحار ، قوله تعالى « ولتبتغوا من فضله » .

وهو حديث عن التجارة التى تعتمد على النقل البحرى ، والتنقل بين البلاد والقارات .

والقرآن الكريم يعبر عن التجارة بالابتغاء من فضل الله لما فيها من التوكل عليه جل شانه بعد اتخاذ الأسباب ، واصطناع الوسائل ، ومن ذلك قوله تعالى « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » ، « وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله » ، « فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له » .

والتعبير بالابتغاء يدل على التطلب بمحاولة السعى والعمل لا على مجرد الطلب أو التمنى بدون وسائل .

والتجارة التى تعتمد على النقل البحرى ، وقطع المحيطات هى أساس الرفاهية العالمية ، وهى وسيلة النفع والانتفاع بين الأمم والشعوب ، وهى التى تيسر لمن فى أقصى المشارق أن ينتفعوا بما فى أقصى المغارب من سلع ومنتجات ومصنوعات ولولا هذا الترابط بين أطراف العالم لتاخر عمران الأرض ولشقت على الانسان حياته فيها .

والسادس قوله تعالى « ولعلكم تشكرون » ، وهو معنى تهذيبى تربوى ذكر بعد الامتنان بالبحر وما يؤديه من وظائف ، فان المؤمن اذا تدبر نعم الله ، وتابع آثارها فى الوجود ؛ عرف مدى الفضل

الالهى ، وأدرك أن عليه مقابل هذا الفضل حقوقا يجب أن يؤديها ، هى حقوق الشكر للمنعم المتفضل ، وحينئذ يكون مرجوا خيره ، متوقعا بره .

وفى هذا جرى مع الأسلوب المعهود فى القرآن الكريم ، حيث يجمع بين ذكر المنافع المادية والمنافع المعنوية الروحية ، ولا يأتى بالأمور فى صور جافة خالية من جمال التوجيه الى الخير والشكر ، ثم ان الشكر فى كل حالة بما يلائمها ، فشكر الله تعالى على نعمه المادية يقتضي من المنعم عليه أن يبذل فى سبيل اسعاد الناس كما أسعده الله ، وأن يذكر مجتمعه الذى يعيش في رحابه ، يتقلب فى حمايته وامنه ، فيعطيه مما أعطاه الله ، غير باخل ولا كانز ولا منعزل منكمش .

● ويقول الله تعالى فى شأن الانعام بنعمة الأنهار :

« وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا » .

« والقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون » .

« أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ؟ أاله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون » .

ونعمة الله تعالى فى الأنهار لا تقل جلالا وعظمة عن نعمته فى البحار ، والأنهار موارد لكثير من الثروات الطبيعية التى لا يمكن الاستغناء عنها ، وللقدرة الالهية والرحمة والحكمة سنن رائعة فى تكوينها وتوزيعها وأماكن جريانها ، وازمان فيضانها ، وما تحمله من عناصر اخصاب للنبات ، وما ينبت بها من أعشاب لا تصلح الا على الماء العذب ، وتفسدها الملوحة :

فما تزال حرارة الشمس منذ خلقها الله وخلق البحار الملحة تبخر المياه وتنقيها من أملاحها وتسوقها الريح الى حيث يريد الله لها أن تنزل . فترى السحب متراكمة تسير سيرا سريعا الى منابع الأنهار فى البحيرات وما بين الجبال ، ثم تهطل هناك هطلا ، وتفيض فيضا ، وتجرى سيولا عارمة لا تقف الا حيث تجد مصابها الى البحر فتعود اليه من جديد بعد أن تكون مياهها قد سلكت سبلها الى الأنهار ظاهرا ، والآبار باطنا ، وبعد أن تنتفع بها السهول والوديان ، والانسان والنبات والحيوان ، بل ان ما يجرى تحت الأرض من تلك المياه هو أيضا أنهار تحتية ، ولعلها هى المقصودة بمثل قوله تعالى « وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم » فالعيون انما هى منابع لأنهار جوفية تجرى فى باطن الأرض بأمر الله وسنته ، وتختزن الى اوقاتها المعلومة « وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » « فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » أى : بل نحن الذين نخزنه ونحفظه لكم ، فلا نجعل جميع الأنهار تنصب فى البحار ، لتعتمدوا على الينابيع الباطنة كما تعتمدون على الينابيع الظاهرة .

والأنهار بعد ذلك شرايين مبثوثة فى البلاد ، يتصرف الانسان فيها ، فيشتق منها أنهارا أصغر ومراوى وقنوات ، وينتفع انتفاعا قريبا ميسرا بمياهها فى السقى والزرع والتطهير وغير ذلك من وجوه الانتفاع التى يعجز عنها الحصر . ولولا ماؤها العذب لأقفرت الأرض وصوح النبات ، وشقى الانسان والحيوان .

وقد حجز الله بين مياه البحار ومياه الأنهار بقوانينه وسننه الكونية أن تختلط أو يعدو ملحها على عذبها « مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

فسبحان المنعم الوهاب العليم العزيز الحكيم

نظرات في الشعر العراقي المعاصر :

شاعرية حافظ جميل

للدكتور بدوي طبانه

- ٣ -

وفي هذا القليل الذي سقناه من امثلة لشعر حافظ الملتهب بحرارة الوطنية مايقضي على كل تردد في عدة من شعراء الطليعة الذين عبروا عن اماني امتهم في حياة الحرية والكرامة والسيادة في غزارة واتقان .

ومع هذه الأدلة البينة يبدو ان ذلك التقسيم الذي يجعل من هذا الشاعر شاعرا ذاتيا ومن غيره شاعرا وطنيا او سياسيا او اجتماعيا تقسيم لايعتمد على اساس سليم ، فان الشاعر لايكون الا ذاتيا ايا كان الغرض الذي يعالجه وايا كان الموضوع الذي يتناوله في شعره ، والشاعر في كل حال لايصف الاشياء ولا يصور المشاهد والأحداث مستقلة عن نفسه ، ولا يصورها تصويرا مجردا كما هي ، وانما يصورها متصلة بنفسه ، مؤثرة في شعوره ، مثيرة لانفعالاته وعواطفه ، ثم يبرزها متحملة طاقات من احاسيسه ومشاعره تجاهها .

وذلك الوصف المجرد — لو كان — ليس له في معيار الشعر والفن حساب الا حساب الشكل ، او حساب الوزن والقافية ، ونحن نقول بمقياس العقل والمعرفة والمنطق لمن يصطنع ذلك اصبت او اخطأت ، ولكنا نقول للشاعر بمقياس العاطفة والشعور — اذا استطاع ان يعبر عن تجربة ، اي تجربة ، بمهارة — اجدت وابدعت !

وعلى هذا فان ذاتية الشاعر ملحوظة في كل حال ، سواء عبر عن معنى لايعني الا نفسه ، او عن معنى يتصل بالحياة العامة ، ويعالج مشكلاتها التي لاتنتهي .

واذ كان **حافظ جميل** شاعر الحس المرهف والتأمل العميق ، واذكان الشعراء بابداعهم وافتنانهم يشاركون في رسم المثل التي تتطلع الانسانية الى تحقيقها ، ويكملون بفنيتهم صور النقص التي يجدونها في الحياة والأحياء ، فان حافظا لم يكن بمنأى عن المجتمع الذي يضطرب من حوله ، وقد استطاع ان يرسم في شعره صورة واضحة المعالم للأحياء الذين يعيشون فيه . واستطعنا ان نقرأ في هذا الشعر العذب الأنيق صورا من عيوب الجماعة ومثالبها وهي عيوب ومثالب لاينفرد بها الناس في بلد دون بلد من البلاد التي تناولتها ظروف الحياة القاسية وكان من جرائها اشاعة الفساد والانحلال ، وكلها عيوب اخلاقية استشرى داؤها في النفوس ، وكانت السبب الاصيل في تدهور هذه البلاد في مختلف مناحيها :

واذا اصيب القوم في اخلاقهم
فاقم عليهم مأتما وعويلا

وفي قصيدة واحدة من نبض الوجدان عنوانها ((**بلد العجائب**)) جمع حافظ كثيرا من المثالب والعيوب التي آدت المجتمع وحطمت كيانه واولها :

تعلم كيف تنحدر النفوس
وتلثم موطىء القدم الرءوس
وصانع لايفتك رخيص قدر
تجامله ولا رذل خسيس
وحاول ان تساير كل عهد
فلاينذى محياك اليبيس
جلال القدر انك حين تمشي
يلوذ بنعلك الشرف المدوس

فكم من ظافر بمريض جاه
وخير سلاحه العرض الدنيس

وقد صور حافظ تلك العلل والآفات ، ونقدها بأسلوبه التصويري البديع الذى تشبع فيه روح السخرية من أصحاب تلك الآفات ، ومن المجتمع الذى تنخر فى عظامه وتحط من قدره ، ومن الناس الذين كثيرا ماينزلون أصحاب تلك النقائص من رفيع المنازل ، وهم أجدر الناس بالضعة والهوان .

وابرز حافظ تلك النقائص والرذائل النافقة فى أسواق الفساد والاختلال فى مقابلة الفضائل التى خمدت نارها وسكنت ريحها ، ولم يعد لها فى حساب الفضل شيء ،ولم يبق لأصحابها المستمسكين بالمبادىء والمثل اى اعتبار ، ومن امثلة ذلك قوله :

تعلم ان تمين وان ترائى
فقد اخنى على الصدق الطموس

اذا حاججت مهذارا فاهذر
فما يجديك منطقك النفيس

تهود حين يخذلك النصارى
واسلم حين يرفضك المجوس

فحالات النفاق لديك شتى
فلا ينقصك من حال لبوس

وعلى هذا النحو من السخرية عدد الشاعر الرذائل السائدة فى مجتمعه وكيف نال أصحابها مآربهم فى الحياة ، وذكر اضرارها من الفضائل التى قعدت بأصحابها ولم تعد تجديهم شيئا ، حتى فقدت المعايير والفضائل وقواعد السلوك قيمتها :

تعلم ان أوفى الناس عهدا
يدوس يمينه فيما يدوس

فلا يردعك عن اثم ضمير
فعبد ضميره ابد تعيس

ولا يخدعك فى الأخلاق عرف
ولا فى الدين شرع او طقوس

ان هذا الأسلوب النقدى الساخر فى تناول أخلاق الناس ورذائلهم واضطراب المقاييس وتباين الحظوظ ليذكرنا بنقد ابى العلاء المعرى للمجتمع ومساوئه وسخريته اللاذعة ، وثورته على الفساد والنفاق ومساوىء الأخلاق التى أفسدت المجتمع ، وقضت على القيم والمعايير التى يقاس بها الانسان الكامل والرجل الفاضل . وما اشبه **ثورة ابى العلاء** على المتجرين بالدين **بثورة حافظ جميل** عليهم فى القرن العشرين فى قوله :

وفتيه دين مسلم ورع
لم يخل يوما منه مسجده

مراى الحرام يثير نقمته
ويقيمه، غضبا ويقعده

لم ينقطع صبحا تضرعه
او ينقطع ليلا تهجده

الدين اشرفه ديانته
والرسل اكرمهم محمده

لكن بدينار تنصره
وبنصف دينار تهوده

ولعل شعرنا المعاصر لم يظفر بكثير من امثال هذه الشاعرية الفذة التى ملكت اعنة البيان فانقاد لها عذبا مشرقا فى تدفق وغزارة لاتشعر معها بأن الشاعر يبذل جهدا فى طلب الكلمة او يتكلف فى تنسيق العبارة ، ومن ثم فان ميزة هذا الشعر الكبرى ما اجتمع له من وضوح الفكرة وقوة المعنى وجمال الصياغة ، وتلك امارات الطبع الاصيل .

فاذا عدونا ذلك التريض الهادر بالوطنية ، الثائر على الاستعمار ، المندد بعسف الحكام ، الباكى على اهل التعاسة والشقاء ، الحادب على الفقير المعانى ، الساخط على الفساد والانحلال، الساخر من المجتمع ومما انحدر اليه ـ الفينا انفسنا أمام شاعرية خصبة لايئودها فن من فنون الشعر ، ولا يستعصي عليها غرض من اغراضه .

وحافظ جميل وصاف بارع ، وحق لمثله من ذوى الاحساس والتأمل والبيان ان يجود فى الصفات، وان يمتاز وصفه بالبراعة فى الاستقصاء، وبتلك الصور التى ترسمها وتؤلف بين اجزائها براعة فنان صناع ، يصل المادى المحس بالخيال المحلق الساحر ، حتى تجد نفسك وانت تقرأ اوصافه بين رياض فيها اجمل ماتدركه الحاسة ، وآنق مايؤلفه خيال ، واحر ما ينبض به وجدان .

اقرا معى بعض ماصاغه فى وصف ليلة فى الشوير لترى مصداق ماقدمت :

ربوة من جنان لبنان حلت
من اعالى الشوير عالى ذراها
شارفت ليل عرسها فاستحالت
جذوة من مصوغها وحلاها

مارج الدر فوقها يتلظى
فى خضم من عسجدى سناها

وشظايا اللجين تومض فى الافق
وتهوى كالشهب فى ارجاها

اتراها تضرمت عن عتيق
ام على الماس لألأت صفحتاها

ام بحافاتها قذائف تبر
تتهاوى فى سندسي حشاها

اما المراة فان حديث حافظ جميل معها حديث طويل ، وحالاتها معه شتى ، وقد صورها حافظ فى جميع حالاتها صادقة وكاذبة ، مقبلة ومعرضة ، واصلة وهاجرة ، وانتهى بعد طول الطواف بها ، وكثرة الجولات معها ثائرا عنيفا ، كانه لم يعرفها ، او كانه عرفها ولم ير فيها الا السم الزعاف ليس له الا ان يراق ويغيب فى الثرى ، او الحية الرقطاء ليس الا ان يحطم راسها ، ثم يقطع ذنبها !

واولى تجاربه مع المراة تجربته مع «التين» وهو الاسم المستعار الذى اختاره لزميلته فى الجامعة الاميركية ببيروت ، التى هام بها ووقع فى شراك هواها ، فصاغ فيها كثيرا من قصائده التى تراواها زملاؤه فى الجامعة ، حتى فاض حديث الهوى وهدده مدير الجامعة بالفصل ان لم يمسك عن هذا التشبيب ، ويكف عن اذاعته ، وكان ذلك فى شباب حافظ منذ سبع وثلاثين سنة .

ومن تلك القصائد واطرفها قصيدته « تين »التى يقول فى اولها :

ياتين ياتوت يارمان ياعنب
ياخير ما اجنت الاغصان والكثب

وفيها اوصاف حسان لفاكهة التين ، وموازنات بديعة بين فاكهة التين وسائر الفواكه تنتهى كلها بايثار التين .. وكلها من الشعر الرمزى الرائع حتى ان القارىء اذا تابع قراءتها لن يسهل عليه الاهتداء الى حقيقة « التين » التى يعنيها حافظ جميل .

ومنها قصيدته « **التينة العاشقة** » وهى واضحة المغزى ، وفيها عتب شديد على التين الذى تجاهل حبه وهيامه ، وصبا الى عاشق آخر اسمه « **غليب** » وفيها يقول :

يا من صبوت الى (غليب)
سيطول حزنك او تشوبى
اسف لمثلك ان تهيم
بحب خداع كذوب
يزور عنك اذا رآ
ك وانت فى شوق عجيب
ويشيح وجها قاطبا
يحكى فؤادك فى القطوب

ويبدو من هذه القصيدة أن صدود « تين » عنه قد اشعل جذوة حبه لها ، وحقده المر على غريمه « غليب » !

وبعد طول التجارب التى طالما اضنته وارقته ينفجر حافظ جميل فى ثورة عارمة على الجنس كله الذى لم يشفع له حب التين ولا غيره من الفواكه المحرمة ، وذلك فى خمسين بيتا ضمنها قصيدته التى جعل عنوانها « النساء » واولها :

بله النساء وذكرهنه
شر الحديث حديثهنه
هن المكيدة والخداع
وهن كل الشر هنه

مافتنة الا ونافخ نارها شيطانهنه
او محنة شاعت بليتها عظيم بلائهنه
او شدة ادهى شقاء من جحيم شقائهنه

وهى من اروع واجود ما الفت شاعرية حافظ ، وقد اثارت عليه بنات حواء فصببن عليه جام غضبهن ، بعد ان اصبح ذكرها يجرى فى كل بيت وعلى كل لسان .

الأنغام الرقيقة للعواطف الرقيقة

للدكتور محمد النويهي

نجحت حيلة اميمة فى حمل ابى ذؤيب على البوح بذلك الحزن الدفين الذى كان يأكل أحشاءه ، والذى سبب له شحوب الجسم ونبو المضجع ، فانفجر أبو ذؤيب بما كان يكتم من لوعة على موت أولاده الخمسة ، فى ثورة طاغية يبدؤها بهذا البيت :

فاجبتها : اما لجسمى أنه
أودى بنى من البلاد فودعوا

وقد بدأنا فى مقالتنا الماضية ننظر فى هذا البيت ، فرأينا أن الهمزة البادئة التى يكررها اربع مرات فى : اجبتها ، أما ، أنه ، أودى ، تعلن بشدتها الصوتية عن تصميمه على أن يبوح الآن بسره وينفجر بثورته المختزنة .. ورأينا ماق كلماته الثلاث : أودى ، البلاد ، ودعوا ، من انفعالات متعاقبة ، ورأينا ارتباط هذه الانفعالات بحروف هذه الكلمات التى استخدمها . ونريد الآن أن نتم النظر فى هذا البيت لنرى فيه دقائق أخرى من انسجام اللفظ مع مضمونه الفكرى والعاطفى . لكننا نحتاج الى مقدمة قصيرة نشرح فيها الخصائص الصوتية الثلاث التى توجد فى الألفاظ اللغوية ، وما ينتج عنها من قيم موسيقية ثلاث .

أولاها « الشدة » ، وبها تختلف الأصوات فى نصيبها من الوضوح أو الخفوت ، أى فى نصيبها من العلو أو الانخفاض ، وتنقسم الحروف الى انفجارية أو شديدة ، وغير انفجارية أو رخوة ، ومائعة أو متوسطة ليست بالشديدة ولا الرخوة . وهذه القيمة الصوتية تعتمد على حجم الذبذبة أى على مدى اتساعها أو ضيقها . فكلما ضاقت ازداد الصوت شدة أى وضوحا وعلوا .

وثانيتها « الدرجة » ، وتعتمد على سرعة توالى الذبذبات ، أى على عدد الذبذبات فى الثانية الواحدة ، وبها تختلف الأصوات فى نصيبها من الحدة أو العمق . فالصوت الحاد أكثر عدد ذبذبات فى الثانية ، والصوت العميق أقل . وبهذه القيمة تختلف الحروف بين مجهورة ومهموسة .

واجتماع هاتين القيمتين ، الشدة والدرجة ، هو ما يعطى الكلمة الواحدة بحروفها المجتمعة ، والجملة بكلماتها المجتمعة ، صفة صوتية عامة نسميها « النغم » ، ونترجم بهذا الاصطلاح ما يسمى فى الانجليزية « مليودى » ، ونفصله عن « الايقاع » (بالانجليزية ريذم) ، الذى ينشأ فى العروض العربى عن القيمة الصوتية الثالثة ، وهى « الكم » .

وهذا الكم يقابل ما يسمى فى الموسيقى « الدوام الزمنى » ، وهو ينتج من اختلاف المقاطع قصرا وطولا . فالمقطع القصير يتكون من حرف واحد متحرك بحركة قصيرة ، مثل واو العطف أو لام الجر . والمقطع الطويل يتكون من حرف متحرك بحركة قصيرة يليه حرف ساكن ، مثل أداة الجزم « لم » ، أو يتكون من حرف متحرك بحركة ممدودة ، مثل « لا » و « فى » و « ذو » . والدوام الزمنى للمقطع الطويل هو ضعف الدوام الزمنى للمقطع القصير . واختلاف البحور العروضية الستة عشر ينشأ عن اختلاف نظامها فى ترتيب المقاطع القصيرة والطويلة . وهناك نوع ثالث من المقاطع زائد الطول نهمله هنا ، لأنه لا يعرض فى الشعر العربى الا فى القافية ، ولا يوجد فى قافية القصيدة التى ندرسها الآن .

هذه هى القيم الصوتية الثلاث التى توجد فى كل كلمة وكل جملة ننطق بها . لكننا نريد الآن أن ننبه الى حقيقتين هامتين : أولاهما ان اعتماد

العروض العربي التقليدي على الكم وحـده في التفريق بين البحور العروضية ، أغفل معظم الدارسين والنقاد عن القيمتين الأخريين . ويتجلى هذا الاغفال بأقبح صورة في القراءة العروضية المدرسية التي لا تهتم الا بالتقطيع العروضي للتأكد من صحته واستقامته ، وتنطق بجميع الأصوات بنبرة واحدة رتيبة تزيل منها نبراتها الحية المنوعة بتنوع الأفكار والعواطف .

والحقيقة الثانية هي أننا في نطقنا الواقعي الحي ننوع من نصيب الكلمة في كل من هـذه القيم الثلاث طبقا لما تمليه الحاجة الى تأكيد المعنى أو تأكيد العاطفة . فكلمة « راح » مثلا يختلف نطقنا بها في جملة تقريرية عادية مثل « التلميذ أخذ كتبه وراح » ، عن نطقنا بها في جملة انفعالية قوية عن ولد مات « ابني راح » . فهي في الجملة الثانية أكبر شدة ؛ وأحد درجة ، وهي أيضا أطول زمنا : « راااح ! » . هذا مع انها هي نفس الكلمة بنفس الحروف ونفس الحركة .

وهذا الاختلاف الثالث في طول المقطع هـو ما نهمله اهمالا تاما أو شبه تام بنوع خاص ، لحرصنا في قراءة الشعر على تحقيق استقامة الوزن العروضي ، والنتيجة هي اننا نفقد الشعر جزءا كبيرا من تنويعه الحي . وسيرى القارىء بعد قليل لماذا لفتنا نظره الى هذه الحقيقة بخاصة .

وجميع هذه القيم الثلاث قد عرضنا لها في أمثلتنا الشعرية الماضية ، تصريحا أو تلميحا ، ورأينا مدى ارتباطها بما تؤديه الكلمات من دقائق الأفكار والعواطف . لكننا أعدنا شرحها وتمييزها هنا لأننا سنحتاج اليها حاجة قوية في احسان النطق بالبيت المذكور ، فهو يتكون من مقاطع تختلف في هذه القيم الثلاث جميعا : الكم ، والدرجة ، والشدة .

اعد الآن قراءة ذلك البيت :

فاجبتها : أما لجسمي أنه

اودى بني من البلاد فودعوا

لكي تستمع الى المدات الموجودة في شطره الأول ، تجد في هذا الشطر أربع مدات ، ونستطيع الآن أن نهمل المدة الثانية منها في «أما» لأنها ثانوية ، ونقصر نظرنا على المدات الثلاث الأخرى .

ماذا يفعل الشاعر بهذه المدات ؟ هو يريد بها أن يتدرج في اخراجه لثورته المختزنة دفعة بعد دفعة . فعليك لكي تحسن النطق بها أن تزيد من كمها تدريجا ، فتجعل الثانية ضعف الأولى في الطول ، وتجعل الثالثة ضعف الثانية ، هكذا :

فاجبتها ا .

أما ا . لجسمي ي ي ..

أنهو و و و و ....

هكذا يتدرج اخراجه لعاطفتـه المكبوتة في موجات ثلاث متعاقبة . الموجة الأولى منها مختومة بمدة الألف . وعليك أن تقرأ هـذه المدة بالطول الطبيعي للمدة ، ومقدار هذا الطول يعتمد بالطبع على معدل السرعة التي تتخذها في قراءة البيت ، وهو على أي حال ضـعف طول حركة الفتحة القصيرة . وقد رمزنا لطول مدة هذه الألف بتكرار الألف مرة واحدة ، ووضع نقطة واحدة بعدها .

كذلك مدة الألف في آخر « أما » التي تبدأ الموجة الثانية ، طولها هو الطول العادي للمدة . ولكن حين تأتي الى مدة الياء التي تختم هذه الموجة فعليك أن تطيلها ضـعف طول مدة الألف ، أي ضعفي طول الحركة القصيرة ، لأن من الواضح أن انفعال الشاعر يزداد هنا انطلاقا عن انطلاقه في الموجة الأولى . ولذلك رمزنا اليه بتكرار الياء مرتين ، وبوضع نقطتين بعدها .

أما حين تأتي الى الموجة الثالثة ، فانفعال الشاعر يبلغ أقصاه في الانطلاق ، فاقرأ مدة الواو التي تختم هذه الموجة بضعف الطول الذي قرأت به مدة الياء السابقة ، أي بضـعفي طول مدة الألف في آخر « فاجبتها » . ولذلك كررنا الواو أربع مرات ووضعنا بعدها أربع نقط . (ولو اسعفتنا مطبعة «الرسالة» برموز النوتة الموسيقية لما احتجنـا الى هذه الوسيلة البدائية بتكرار الحرف ووضـع النقط .)

ولكن لا تكتف بمضاعفة الطول في المدة بعد المدة ، بل ضاعف أيضا من درجة صوتك أي من حدته ، تبدأ من الصـوت العميق « القرار » ، ثم تأخذ في الاحتداد درجة بعد درجة ، بزيادة عـدد الذبذبات في صوتك ، حتى يصل صوتك في مدة الواو الأخيرة في « أنهو » الى أكبره حدة . ولاتخش في هذا انك تأتي شـيئا مصـطنعا ، فانما انت تطابق النطق الطبيعي الصـادق الذي يتهدج به الصوت البشري حين تزداد به العاطفة موجة بعد موجة ، والا فاستمع في الفرصة الأولى التي تسنح لك الى شخص يطلق العنان لانفعاله وصوته خطوة بعد خطوة .

ولكن هـذا ليس كل شيء ، بل تأمل الآن في

تنويع ثالث يأتي به هذا الشاعر الأصيل ، وهو تنويعه في « شدة » صوته ، أي تصبيبه من العلو والوضوح ، بتضييقه لمسافة الاهتزازة . فهو يختم موجته الأولى بمدة الألف ، وهي أقل المدات العربية شدة ، وأسهلها نطقا ، لأنها أكبرها اتساعا . ثم يختم موجته الثانية بمدة الياء ، وهي أضيق من مدة الألف وأقل ضيقا من مدة الواو . ثم يختم موجته الثالثة بمدة الواو ، وهي أشد المدات العربية ضيقا ، وهي لذلك أصعبها في النطق . وهذا الاشتداد المتدرج ينسجم بطبيعة الحال مع اشتداد انفعاله موجة بعد موجة .

وبهذا يستعمل الشاعر جميع المدات الثلاث التي تعرفها العربية ، ويرتبها هذا الترتيب البارع المتدرج في الشدة والضيق ، ألف فياء فواو . فانظر الآن نظرة شاملة في هذا الشطر العجيب :

فاجبتهـــا ا . امـا ا . لجسـمي ي ي . .
انهو و و و و ....

والى تدرج الصوت فيه طولا ودرجة وشدة حتى يصل في آخره الى أقصاه طولا زمنيا ، وحدة درجة ، وشدة ارتفاع . وتعال الآن الى هذه الضربة المفاجئة العظيمة المفاجأة في قوله في الشطر الثاني :

اودى بنى !

فاستمع الى هذه الياء المشددة في آخر « بنى »،

وانظر كيف تأتي حادة عالية ، صارخة نافذة ، بعد تلك المدات الثلاث الطويلات المتموجات ، وكيف يبلغ فيها الصوت أقوى طعنه واختراقه للقلب ، فكأن الشاعر قد علا بصوته في الشدة وزاده في الحدة وضاعفه في الطول طبقة فوق طبقة حتى ينتهي به فجاة الى هذه الطعنة النافذة التي تخترق القلب كالمدية المسنونة . وهذا يذكرنا بما يحدث في بعض التاليفات الموسيقية من توالى قرع الطبول في موجات مستمرة متعاقبة متزايدة في الشدة والدرجة ثم اختتامها اختتاما مفاجئا بقرعة من الآلات النحاسية « سيمبال » أو الصنج وما يكون لهذا من الوقع العنيف والنجاح في تصوير وصول العاطفة الى أقواها .

ولاحظ أن حرف الياء ، مع انه حرف رقيق اذا جاء مفردا متحركا ، يصير حادا عاليا اذا جاء ساكنا ، وتزداد طعنته الواخزة اذا جاء مشددا ، حتى ليقترب في جرسه من الجيم الشامية البالغة التعطش المشبهة للحرف الفرنسي «جا» بنقط ثلاث.

ثم تذكر ما قلناه في مقالتنا الماضية عن هذا الشطر الثاني ، حتى ترى كيف ان طعنة الياء المشددة في « بنى » ، تسبقها وتمهد لها طعنتان أخريان فرعيتان في مقطعي الفعل « أودى » ، ثم كيف يعود الشاعر بعدها الى وسيلة الألف الممدودة في « البلاد » ، وعليك ــ كما قلنا سابقا ــ أن تطيل من صوتك في النطق بهذه الألف ، وأن تموج فيها صوتك بأكبر ما تستطيع من الرعدة والاهتزاز . ثم ترى كيف يختتم البيت بهذه الكلمة « ودعوا » ــ بتشديد الدال ، بما فيها من الواو المتأوهة ، والدال المشددة القوية الانفجار ، والعين المرة المرتاعة تشبع ضمتها بمدة الواو فتبلغ العين أقصى مرارتها وتفجعها .

وأخيرا ألق نظرة شاملة على كل هذه الملاحظات التي لاحظناها في هذا البيت وما به من دقائق الايقاع والنغم ، لترى كيف تتتابع وتترابط ويقود بعضها الى بعض وتأتلف جميعا في وحدة منسجمة عظيمة الروعة قوية التأثير .

نقف هنا برهة لنجيب على سؤال أغلب ظننا ان القارئ يهم به ، ولنسأل نحن سؤالا من جانبنا .

أما السؤال الذي نتوقعه من القارئ فهو : هل تعني بهذا كله أن أبا ذؤيب أتى بهذه الوسائل الصوتية عن عمد وتخير وانتخاب لحروفه وحركاته ومقاطعه وكلماته ؟ هل قال أبو ذؤيب لنفسه مثلا : أنا أريد أن أصور بوحي المتدرج بانفعالي خطوة بعد خطوة ، فلأبدأن كل موجة من موجات تنفيسي بحرف الهمزة الشديد القاطع ، ولأختمن موجتي الأولى بمدة الألف لأنها أكثر المدات العربية اتساعا ، ثم لأختمن موجتي الثانية بمدة الياء لأنها أضيق من مدة الألف ، ثم لأختمن موجتي الثالثة بمدة الواو وهي أكثر المدات العربية ضيقا وأعظمها لذلك شدة ؟

واضح كل الوضوح اننا لا نعني شيئا من هذا ، فأبو ذؤيب لم يأت بهذا النوع من التعمد والاختيار ، بل هو لصدق شاعريته ، وصدق أصالته ، وصدق انفعاله بعاطفته ، وقوة تمثله لها وهو ينظم بيته ، اخلص في محاولته التعبير الشعري عنها ، وكان ذا دربة على النظم وامتلاك لناصية اللغة ، فواتته هذه الألفاظ كما تواتي كل شاعر صادق أصيل

حاذق . هكذا نفسر توفيقه البعيد في الربط بين مضمونه ولفظه ، ولكن تفسيرنا هذا لاينفي ما يكون من الشاعر القدير من عودة الى شعره بعد نظمه الأول له يهذبه وينقحه ، ويزيده دقة تعبير وتمام انسجام بين اللفظ ومضمونه ، وهذا التهذيب حقيقة معروفة عن كثير من شعراء الجاهلية أنفسهم، فليس الشعر الجيد بالفورية والمباشرة وعدم المراجعة التي يظنها كثيرون من القراء ، حتى في أقدم عصور الشعر العربي . نحن نعتقد اذن أن أبا ذؤيب في هذا البيت وفي سائر الأبيات ، واتته معظم هذه التوفيقات في نظمه الأول الذى صدر عن ارهافه الفني وقوة استجابته لعاطفته ، ثم عاد الى هذا النظم يزيده شحذا وتنسيقا على هدى ثروته اللغوية وخبرته الفنية . هذا هو جوابنا الكامل على ذلك السؤال .

لكننا نريد نحن أن نسأل : ترى ماذا فعل القارىء بكل ملاحظاتنا السابقة وشرحنا المفصل ؟ هل اتخذ منها منذ البدء موقف الرفض والانكار أو السخرية والاستهزاء ، فلم يمض في قراءتها الا ليزداد تفكها ومرحا وضحكا على هذا الكاتب الحرف، او غضبا وسخطا على هذه الطريقة الغريبة الشاذة الملتوية ؟ هل اكتفى بقراءة ملاحظاتنا وارشاداتنا قراءة بصرية صامتة ؟ أو تراه اقبل عليها الاقبال المبدئى المتعاون الذى شرحناه فى مقالاتنا الماضية وأكدنا ضرورته لكل تقدير نقدى عادل ومشاركة فنية ناجحة ، وبذل جهده فى قراءة البيت قراءة جاهرة مسموعة تتبع الارشادات التى وضعناها ، وتحاول محاولة مخلصة — قبل أن تسرع الى الرفض أو القبول — أن تحقق فى هذه الحروف والحركات ، والمقاطع والكلمات ، ما ادعينا وجوده فيها ؟

اننا لندرك ما فى طريقتنا هذه فى قراءة الشعر وتحليله من غرابة ، وما تسببه هذه الغرابة من صعوبة فى المتابعة ، ثم يزيد من هذه الصعوبة أننا نحاول بالخط الصامت على الورق الأخرس شرحا مجاله الصحيح هو المحاضرة المسموعة الحية . ولكننا برغم هذا كله نرجو قارئنا ونلحف في الرجاء ، أن يأخذ ملاحظاتنا وارشاداتنا مأخذ الجد ، فلا يسرع الى رفضها وانكارها ، ولا يسرع الى السخرية منها ، والتندر على صاحبها ، وأن يتذكر واجبه كقارىء للأدب ، ودارس للنقد ، وليذكر أن التقدير الفنى كله يبدأ دائما بالمطاوعة وبذل الجهد فى المشاركة ،

ولهذا قيل ان التذوق الفنى عمل من أعمال الايمان .

وكاتب هذه السطور يذكر من سنواته السبع التى عاشها فى انجلترا ، كيف كان يرى الأمهات الانجليزيات يدربن أطفالهن على الالتفات الى جمال الطبيعة ، فلا تزال الواحدة منهن تهيب بولدها : انظر الى هذه الزهرة ! أليست جميلة ؟ وانظر الى هذا الجبل ! اليس رائعا ؟ والطفل يجيب فى صوت يتكلف الأدب والطاعة : ييس مام ! (نعم يا أمى) ، وهو بالطبع لا يرى بعد جمالا ولا روعة ، ولكن بتكرار التوجيه وتكرار الطاعة يبتدىء فى ان ينتبه حقا الى ما فى طبيعة بلاده من جمال وروعة ، وينتهى الى أن يبصرهما ابصارا صادقا ، ويطرب لهما طربا مخلصا . وهكذا يبتدىء التقدير الفنى جميعه .

واذكر أيضا كيف كان ابى ، عليه رحمة الله ، ينفعل انفعالا قويا بالاستماع الى القراء المجيدين للقرآن ، وكيف كان فى صغرى يحاول أن يقنعنى وان يثير فى نظير انفعاله ، وكيف تدرجت بى المحاولة الى الطرب الصادق الذى لا زيف فيه ولا ادعاء . وهكذا ايضا يبتدىء التقدير الفنى جميعه .

والحقيقة التى لا شك فيها هى أن تراثنا الشعرى العظيم لم ينل منا بعد ما يستحقه من تقدير ، وأن المناهج البلاغية التقليدية قد ثبت عجزها عن أن تبصرنا بمدى جماله وغنائه ، وأن الكثرة الغالبة من شبابنا غير مقتنعة بأن فى تراثنا العربى ما يقدم اليها ما يبتغى فى الأدب من امتاع العاطفة وشحذ الروح واغناء التجربة الانسانية وتوسيع الخيال . وأنهم زاهدون فى هذا التراث عزوفون عنه ، وأن طائفة منهم قد انصرفت الى الاشعار الغربية تلتمس فيها ما عجزت عن وجدانه ، أو بعبارة أصح وأكثر بدلا ، ما عجز معلموها عن اقناعها بوجوده ، فى تراثها العربى .

وما نظننا نحتاج الى أن نطيل فى شرح ما لهذه الحالة المحزنة من خطر بعيد واضرار بليغ بنهضتنا القومية الجديدة ، التى لا بد أن ترتكز على اعتزاز صادق مخلص بتراثنا الثقافى العربى ، اعتزاز من المحال أن ينشأ الا اذا بنى على علم حقيقى واستجابة مقتنعة لما يزخر به هذا التراث من روائع الفنى والامتاع . ما أشد حاجتنا اذن الى أن نقبل على تراثنا هذا اقبالا جديدا ، وأن نوسع من صدورنا لدارس يأتى فى دراسته بطريقة تبدو لنا غريبة

محيرة . لسنا نزعم بهذا كله أن كل قارىء يجب أن يقبل كل ما قلناه في مقالاتنا هذه ، وما سنقوله في مقالاتنا القادمة . بل أقصى ما نطالبه به أن يبذل معنا جهد المشاركة الذى شرحناه ، وما يدريه لعله ينتهي الى أن يقبل بعض ادعاءاتنا على الأقل ، فان قبل بعضها اليوم فما يدريه لعله يزداد لطريقتنا قبولا كلما ازداد بها ألفة وقدرة على المتابعة .

بعد هذا الاستطراد الذى نرجو الا يكون قد أمل القارىء وزاد من حنقه علينا ، نعود الى أبيات أبى ذؤيب ، لنقرأ بيته التالى :

أودى بنى ! واعقبونى غصة
بعد الرقاد وعبرة لا تقلع

فنلاحظ في الحال أن الشاعر قد كرر طعنته الواخزة (أودى بنى !) التى تقدمت فى البيت الماضى . كأنه لم يكفه أن يطعن صدره مرة واحدة حتى أعاد المدية الممزقة يدفعها فى صدره مرة ثانية . فاستمع الى ما لهذا التكرار الموسيقى من جمال فائق وتأثير مضاعف يذكرنا بروعة الجمل المكررة فى التأليف الموسيقى الجيد ، وكيف انها اذا كررت بمهارة وكانت هناك حاجة فنية قوية الى تكرارها يكون لها أثر فنى مضاعف يزيد على أثرها حين وردت أول مرة ، اذ تزيدنا انتباها الى قيمتها الصوتية وتقديرا لأهميتها فى التنفيس عن العاطفة المرددة ولدورها العضوى فى الربط بين فقرات البناء الموسيقى الشامل .

هذا عن قوله « أودى بنى » . ولكن قبل أن نستوفى الكلام فى الجانب اللفظى لهذا البيت الجديد دعنا ننظر برهة فى مضمونه ، لنعجب كل الاعجاب بتواضع الشاعر وعزوفه عن المبالغة والتهويل وايثاره الاقتصاد والاقلال . فهذا الشاعر الأب الذى مات بنوه الخمسة فى عام واحد لم يدع ان موت أبنائه قد حرمه النوم والزمه السهاد ، بل يعترف بأنه يأوى الى مضجعه التماسا لراحة الرقاد بعد كد العمل . وكل ما يقرره هو أنه حين يستيقظ من رقاده تبادره ذكرى الفاجعة التى ألمت به فتأخذ حلقه غصة وتترقرق فى مقلته عبرة . أما الغصة فتدل على محاولته القوية التى أصر على بذلها الى أن جاءته أميمة تعاتبه ، محاولته أن يكبح حزنه كبحا يؤدى الى اختناق حلقه بمرارة نكبته . وأما العبرة فلاحظ كيف انه لا يدعى انه يذرف الدموع مدرارا ويفجرها انهارا وبحارا دعك من أن يدعى انه يبكى بدل الدمع دما كما يقول الكذابون الذين لا يفهمون الرثاء الا رخصة للمبالغة والتهويل . بل هى عبرة واحدة وحيدة تجول فى مآقيه حائرة لأنه يبذل جهده فى أن يكبحها ولا يسمح لها بالانحدار على خده ، فهى فى مقلته قلقة تذهب وتجىء كما نرى أحيانا من رجل يبذل الجهد فى حبس دمعته من السقوط من عينه فتكسو مقلته بسحابة رقيقة تتحرك فوقها ، أو كما يقول التعبير الافرنجى « تغشيها بفيلم مائى » .

والآن وقد ادركنا مضمون البيت ننظر فى أدائه اللفظى لنرى كيف ينسجم انسجاما تاما مع هذا المضمون . فاستمع بعد صرخته المكررة «أودى بنى»؟ كيف يعبر باقى البيت بجرسه اللفظى عن تلك الغصة المختنقة التى تأخذ حلقه نتيجة لمحاولته الجاهدة فى كبح انفعاله . يعبر عنها تعبيرا بارعا بالاكثار من « حروف الحلق » . حتى لا تخلو كلمة من كلماته الست من أحد هذه الحروف ، ويجتمع فى بعضها حرفان حلقيان . ففى « أعقبونى » عين وقاف . وفى « غصة » غين . وفى « بعد » عين . وفى « الرقاد » قاف . وفى « عبرة » عين . وفى « لا تقلع » قاف وعين . فاقرأ هذا البيت - ونستحلفك الله أن تنطق به جهرا ! - موليا انتباهك الى لوكة العينات الأربع والغين والقافات الثلاث فى الفم ، وكيف تصور هذه الحروف الحلقية الثمانية حين تتوالى هكذا :

اعق بونى - غصة - بـعد - الرقاد - وعبرة - لا تـقـلع .

كيف تصور تصويرا دقيقا بالغ الفعل والنجاح حركة الازدراد الصعبة المرة فى الحلق حين تأخذ أحدنا غصة من محاولته كظم انفعاله فلا يستطيع أن « يبلع ريقه » .

أترى اللفظ يستطيع أن يزيد على هذا صدق ارتباط مع المعنى وعضوية اتحاد مع العاطفة ودقة تجاوب مع الانفعال ؟ أولا تجد فى هذا البيت العجيب دليلا حاسما جديدا على ما ادعينا من الرابطة العضوية الحية بين الشكل والمضمون فى الشعر الجيد ؟

وفى مقالتنا القادمة نتم حديثنا عن هذه الأبيات المعجبة التى نظمها شاعر عربى منذ ما يقرب من الف وأربعمائة سنة - ستة وخمسين جيلا !

الاحتفال بوفاء النيل في مصر الاسلامية

للدكتور جمال الدين الشيال

كان المصريون منذ أقدم العصور يحتفلون بوفاء **النيل** ، ويفتنون في هذا الاحتفال الذى كان يتخذ أشكالا متباينة وصورا مختلفة ، تبعا لاختلاف العصور والحكومات والأديان .

أما المصريون القدماء فقد ألهوا النيل وعبدوه لأنه مصدر الخير والبركة ، يشربون من مائه العذب السلسبيل ، واذا فاض سقى أراضيهم ورواها ، وبعث فيها الحياة ، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، وعلى صفحته تسير قواربهم تصيد الأسماك ، وسفنهم الشراعية تحمل التجارة من حب وفاكهة الى أهالى الشمال من الجنوب ، والى أهالى الجنوب من الشمال .

وتقول الرواية العربية التى تنقلها جمهرة المؤرخين المسلمين عن ابن عبد الحكم :

ان المصريين كانوا يزينون للنيل فتاة بكرا جميلة ، فيطيبونها ويعطرونها ، ويحملونها اجمل حليها ولآلئها وجواهرها ، ثم يلقونها الى النيل قربانا ، فلا يلبث ان يزيد ماؤه ويفيض ويغطى الأرضين .

غير أن معظم المؤرخين المحدثين يشكون فى صحة الرواية ، وبرهان شكهم أن العرب دخلوا مصر وهى مسيحية حكومة وشعبا ، فلو فرض أن مصر الفرعونية الوثنية كانت تقترف هذا الاثم ، فليس من المعقول أن تستمر على اباحة اقترافه المسيحية وهى دين سماوى يمنع قتل النفس دون جريرة .

غير أن الأمر الذى لا شك فيه أن الحكومات المختلفة التى توالت على مصر كانت تهتم الاهتمام كله بمقاييس النيل لتترقب وفاءه ولتحتفل بهذا الوفاء لأن فيه صلاح الأرضين وخصبها ، وحياة النباتات وازهارها واثمارها ، وكيف يستطيع المصرى الحياة اذا قصر النيل ولم تنبت الأرض ؟!

وقد تغير مكان المقياس فى العصور المختلفة ، وان كان المتفق عليه بين مؤرخى العرب انه قد كان بمصر قبيل الفتح مقاييس كثيرة فى بلدان مختلفة ، غير أننا لا نستطيع تحقيق أماكنها أو أسماء الملوك الذين انشاوها ، **فالمسعودى** يقول مثلا :

« ووضعت دلوكة العجوز ملكة مصر بعد فرعون مقياسا بأنصنا صغير الأذرع ، ووضعت مقياسا آخر باخميم ، ووضعت الروم مقياسا بقصر الشمع » .

ويقول **القضاعى** :

« ثم جاء الاسلام ، وفتحت مصر والمقياس بمنف »

ويذكر **القلقشندى** أن مكان المقياس كان بمنف معروفا حتى عهده (القرن التاسع الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى) فيقول :

« وموضع المقياس بمنف الى الآن معروف على القرب من الأهراء اليوسفية من جهة البلدة المعروفة بالبدرشين » .

وبقى النيل بعد دخول العرب بمدة يقاس بمنف ، ويدخل القياس الى الفسطاط فينادى به ، ثم بنى عمرو بن العاص مقياسا بأسوان ، وآخر بدندرة ، وفى أيام معاوية بنى مقياس ثالث بأنصنا ، ولما ولى عبد العزيز بن مروان حكم مصر، واتخذ مدينة حلوان مقرا لحكمه ، بنى بها مقياسا صغير الأذرع ، كذلك بنى أسامة بن زيد التنوخى سنة سبع وتسعين من الهجرة (٧١٥ م) فى عهد ولايته لمصر مقياسا فى جزيرة الروضة (أو جزيرة الصناعة كما كانت تسمى) وذلك بأمر سليمان ابن عبد الملك الخليفة الأموى . ويقول صاحب **صبح الاعشى** :

« ثم بنى المتوكل مقياسا أسفل الأرض بالجزيرة المذكورة (جزيرة الروضة) فى سنة سبع وأربعين ومائتين (٨٦١ م) فى ولاية يزيد بن عبد الملك على مصر ، وهو المعمول به الى زماننا هذا » (القرن التاسع الهجرى)

ونضيف نحن أيضا ان هذا المقياس هو المعمول به الى سنتنا هذه (١٣٨٤ هـ) أى ان عمر هذا المقياس هذا العام الف ومائة وسبعة وثلاثون عاما .

وكان المتفق عليه فى تاريخ مصر الاسلامية أن يحتفل بوفاء النيل اذا بلغ ستة عشر أو سبعة

عشر ذراعا ، ويعتبر النيل مقصرا اذا قل عن الرقم الأول ، ويعتبر الفيضان خطرا اذا زاد على الرقم الثانى ، وفى هذا المعنى يقول الصلاح الصفدى :

قالوا علا نيل مصر في زيادته
حتى لقد بلغ الأهرام حين طما
فقلت : هذا عجيب في بلادكم
أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وكانت النصارى تتولى قياس النيل منذ الفتح العربى الى زمن الخليفة المتوكل العباسى ، فعزلهم واختار له رجلا مسلما صالحا يسمى عبد الله ابن عبد السلام بن ابى الرداد المؤدب ، واجرى له سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير فى كل شهر ، بقيت هذه الوظيفة فى نسل هذا الرجل حتى القرن التاسع الهجرى ، كما يقرر ذلك السيوطى فى حسن المحاضرة ، والمقريزى فى الخطط ، والقلقشندى فى صبح الأعشى .

وكان النيل اذا بلغ ستة عشر ذراعا (وهو المعبر عنه بماء السلطان) كسر خليج القاهرة ، ولكسر خليج القاهرة - كما يقول المقريزى - : « يوم معدود ومقام مشهود ، ومجتمع خاص يحضره العام والخاص » ، ويقول عنه القلقشندى هو : « يوم مشهود وموسم معدود ، ليس له نظير فى الدنيا ، وفيه تكتب البشارات بوفاء النيل الى سائر أقطاب المملكة ، وتسير بها البرد » ، ويقول السيوطى : « جرت العادة كل سنة اذا وفى النيل أن يرسل السلطان بشيرا بذلك الى البلاد لتطمئن قلوب العباد وهذه عادة قديمة ، ولم يزل كتاب الانشاء ينشئون فى ذلك الرسائل البليغة » .

ويورد السيوطى بعد ذلك أربع رسالات فى هذا المعنى ، احداها من انشاء القاضى الفاضل ، والثانية من انشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ، والثالثة كتبها الصلاح الصفدى ، والرابعة كتبها الاديب تقى الدين أبو بكر بن حجة .

حفلات الوفاء :

حافظ المصريون بعد اسلامهم على تقاليدهم القديمة ، فعنوا بمقاييس النيل والاحتفال بوفائه ، وان كانوا قد أدخلوا على هذا الاحتفال بعض التعديل الذى يتفق والدين الجديد ، واقدم وصف عثرت عليه لهذا الاحتفال هو لابن رستة (جغرافى عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى - التاسع الميلادى) فى كتابه « الاعلاق النفيسة » ، وهذا الوصف يبين جمال الاحتفال وبساطته فى أول العهد فقد كان الموكلون بقياس النيل يترقبون الزيادة اصبعا اصبعا ، وذراعا ذراعا ، فاذا وفى ساروا فى موكب جليل الى المسجد الجامع (جامع عمرو) يحملون الزهور والرياحين ، ويقفون هناك حلقات حلقات ، يعلنون وفاء النيل ، ويشكرون الله ، ويتراشقون بالازهار ، ولا شك عندى أنهم كانوا يعلنون هذا كله فى اهازيج وأناشيد خاصة .

ويبدو ان المتولين امر المقياس كانوا ينادون فى الناس معلنين الزيادة اصبعا اصبعا ، وذراعا ذراعا ، حتى أتى المعز لدين الله الفاطمى فمنع من النداء بزيادة النيل ، والا يكتب بذلك الا اليه والى القائد جوهر ، فاذا بلغت الزيادة ستة عشر ذراعا اباح النداء وكسر الخليج ، يقول المقريزى فى الخطط معلقا على هذا التعديل : « فتأمل ماابدع هذه السياسة ، فان الناس دائما اذا توقف النيل فى ايام زيادته او زاد قليلا يقلقون ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل ، فيقبضون أيديهم على الغلال ، ويمتنعون عن بيعها رجاء ارتفاع السعر ، ويجتهد من عنده مال فى خزن الغلة ، اما لطلب السعر ، او لطلب ادخار قوت عياله ، فيحدث بهذا الغلاء ، فان زاد الماء انحل السعر ، والا كان الجدب والقحط ، ففى كتمان الزيادة عن العامة اعظم فائدة وأجل عائدة » .

وكانت الحفلات التى تقام ، والمهرجانات التى تعقد ابتهاجا وسرورا بوفاء النيل فى عهد الفاطميين بالغة الحد الاقصى من الجمال والبهجة والروعة والاناقة ، وأهم هذه المراكب موكبان: أحدهما لتخليق المقياس ، والثانى لكسر الخليج ، وبينهما ٣ أو ٤ ايام ، وكانت الدولة كلها ، خليفتها ووزراؤها وقضاتها وقوادها وفقهاؤها وأدباؤها وشعراؤها وفنانوها وموسيقيوها وشعبها أخيرا ، فلا غرو اذن أن قامت للآداب والفنون دولة عظيمة الشأن فى هذا العصر ولا غرو اذا سعد الشعب المصرى ونعم ، واحس السرور يفيض فى جنبات حياته تحت حكم الفاطميين .

وفى كتب المؤرخين صور واضحة لهذه المواكب نحاول هنا نقل صورة لجمالها وروعتها .

موكب التخليق :

كان الموكلون بالمقياس يرفعون الى ديوان

الانشاء كل يوم رقعة بها مقدار الزيادة ، فلا يطلع عليها الا الخليفة والوزير ، فاذا بلغت الزيادة ستة عشر ذراعا أمر بأن يبيت فى جامع المقياس ليلة الوفاء قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر لختم القرآن الكريم، وتمد لهم الأسمطة وتوقد الشموع الكثيرة ، وفى الصباح يلبس الخليفة الحلل الفاخرة والتاج الذى فيه اليتيمة ، ويخرج من القصر فى موكب زاخر، وفى ركابه الوزير والامراء والجند، فيشق القاهرة ويمر من باب زويلة الى الصليبية ، ثم يعرج على جامع ابن طولون ، الى أن ينتهى به السير الى دار الصناعة ، ويشق الفسطاط حتى يصل الى شاطىء النيل ، وتكون سفينته الخاصة (الحراقة) معدة فى النيل ٠

« وقد حمل اليها من القصر بيت مثمن من العاج والأبنوس، كل جانب منه ثلاثة أذرع ، وطوله قامة رجل تام ، فيركب فى السفينة وعليه قبة من خشب محكم الصنعة وهو وقبته ملبس صفائح الفضة المذهبة » ..

« ثم يخرج الخليفة ومعه الوزير وبعض خاصته الى هذه السفينة ، ويجلسون فى هذا البيت المثمن ، وتسير بهم الى المقياس فينزلون ويدخلون الى الفسقية التى فيها المقياس ، ويصلى كل منهم ركعتين وحده، ثم يتناول الخليفة اناء بيده ويذيب فيه الزعفران ، ويتناوله صاحب بيت المال فيعطيه لابن أبى الرداد الذى يتولى أمر المقياس ، فيلقى هذا بنفسه وهو بملابسه فى الفسقية ، ويمسك بالعمود برجليه ويده اليسرى ويخلق المقياس بيده اليمنى ، وبعد التخليق يعود الخليفة الى حراقته التى تقله الى البر حيث يعود الى القاهرة ، ويكون فى البحر ذلك اليوم نحو الف مركب مشحونة بالناس للتفرج واظهار الفرح » ..

موكب كسر الخليج :

وبعد ٣ أو ٤ أيام تقام فى بيت المال موائد من « التماثيل المختلفة من الغزلان والسباع والفيلة والزراريف وغيرها ، منها ما هو ملبس بالعنبر ، ومنها ماهو ملبس بالصندل مفسرة الأعين والأعضاء بالذهب ، وكذلك تعمل أشكال التفاح والأترج وغير ذلك ٠٠ » ، وتخرج خيمة الخليفة الكبيرة فتنصب على البر الغربى للخليج عند منظرة السكرة، وتنصب بحريها خيام للأمراء والخاصة حسب مراتبهم ٠

وفى الصباح يلبس الخليفة ثوبا يسمى البدنة ، وهو حرير مرقوم بذهب لا يلبسه غير ذلك اليوم ، ويخرج فى مثل موكبه السابق فى أجمل هيئة وأكمل أبهة ، ويسير الخليفة فى موكبه من القصر وحوله الوزير والأستاذون المحنكون فى الطريق السالف الذكر الى أن يصل جامع ابن طولون ، حيث يجد قاضى القضاة والشهود فى انتظاره على بابه ، فيسلم عليهم ، وينضمون الى موكبه الذى يستأنف السير الى أن يصل الى الخيمة ، فيترجلون ويجلسون على نظام خاص مقرر ، وقراء الحضرة هناك يتلون القرآن الكريم لمدة ساعة ، فاذا انتهوا استأذن صاحب الباب للشعراء فيدخلون حسب مراتبهم ، وينشد كل واحد فيما يناسب الحفل ، والحضور ينتقدون ما يسمعون ، فيقرظون شعر البعض ، ويجرحون شعر البعض الآخر ، وفى المقريزى (الخطط ، ج٢ ، ص ٣٦٥ ، مطبعة النيل صورة طريفة لهذا المهرجان الأدبى وآراء الحاضرين فى نقد ما قيل فيه من شعر ٠

وبعد ، فهذه هى مواكب الفاطميين ومهرجاناتهم للاحتفال بوفاء النيل وتخليق المقياس وكسر الخليج، سار على نهجهم فيها الأيوبيون من بعدهم ، ثم أتى المماليك فزادوها بهاء فوق بهاء ، وأبهة فوق أبهة حتى غدت أروع وأجمل وأنق من احتفالات سابقيهم من الملوك والخلفاء ٠

وقد ظل المصريون يحتفلون بوفاء النيل فى العصور الحديثة حتى وقتنا هذا، وتركز الاحتفال فى الموكب الذى تقوده سفينة العقبة وفى الاحتفال الذى يحضره كبار رجال الدولة ، وفى حجة الوفاء التى يكتبها القاضى الشرعى ٠

وبعد ثلاث سنوات ، وبعد اتمام بناء السد العالى ستحجز مياه الفيضان كلها وراء السد ، وسيمتنع وصول مياه الفيضان الى شمال الوادى ، وسيمتنع تبعا لذلك الاحتفال بوفاء النيل على الطريقة القديمة، ولكن النيل سيظل مصدر الخصب والنماء لمصر ، ولهذا أرجو أن تفكر الدولة وأن يفكر المصريون من الآن فى اعداد طريقة جديدة للاحتفال بوفاء النيل ٠

شعراؤنا المعاصرون وشعر النخيل

بقلم: محمد عبد الغنى حسن

أشار الشاعر **احمد شوقي** فى قصيدته البائية عن « **النخيل** » الى خلو الشعر العربى من وصف النخلة ، وعطل الكتب من تصويرها ، فارسل بيته فى استفهام انكارى يحمل معنى التحسر قائلا :

أليس حراما خلو القصائد
من وصفكن وعطل الكتب ؟

والحق أن هذا السؤال من شوقى لا معنى له ، ولا أدرى كيف ند عن شوقى ـ وهو الشاعر القارىء الواعى ـ احتشاد كتب الأدب واللغة والشعر بأدب النخلة ! فتناولها الشعراء نواة وشجرة وصاحبة ثمر ، وذات ظل ، ومذكرة بأرض الوطن ٠ وتناولها اللغويون بالتسميات اللغوية الكثيرة لنواتها وجذعها وطلعها وسعفها وبلحها وتمرها وليفها وطولها وقصرها وجماعاتها ، وأجزاء ثمرتها حتى القطمير ٠٠٠ وبلغ مادونه اللغوى الكبير « ابن سيده » من ذلك بابا طويلا جدا فى كتابه الضخم : «المخصص» الذى اختصره الأستاذان حسين يوسف موسى ، وعبد الفتاح الصعيدى فى كتابهما النفيس : « الافصاح » ٠

ولقد كان العرب فى القديم والحديث أبر بالنخلة ، كما كانوا أبر بالحصان ٠٠ فاكثروا من ذكرها وصفتها ، على غير ما ذهب اليه الشاعر أحمد شوقى ٠

ولعل اهتمام الشاعر أحمد شوقى بأدب النخلة فى شعره قد وجه الى هذه الشجرة المباركة أنظار الشعراء المعاصرين واهتمامهم ٠ فوجدنا كثرة كاثرة من شعراء عصرنا هذا وصفوا النخلة وصوروها فى بسوقها وسموقها وتنظيم صفوفها وتنضيد طلعها ، بل ذهب بعضهم أكثر من هذا فجعل من شموخها علامة على الكبرياء ، وهى صفة العربى الرافع الرأس ، الذى لا يحنيه أبدا مهما عصفت به الأيام ، فقال فيها الشاعر **أيليا ابو ماضى:**

أحببت حتى الشوك فى صحرائها
وعشقت حتى نخلها المتكبرا

اللابس الورق اليبيس تنسكا
والمستمخر الى السماء تجبرا

ولعلك تلاحظ أن شاعرنا المهجرى جعل النخل مع كبريائها ناسكة ، فان زهدها ونسكها وعرى جذعها لم يمنعها من شموخ الرأس ، وعزة الكبرياء ٠٠

والشاعر العربى الحديث ـ على الرغم مما احاطته به الحضارة من مظاهرها ـ لم يتنكر للنخلة التى ترتبط دائما بالبادية والصحراء ولا تنفصل عنهما، وقد لاحظ هذا المعنى الشاعر العراقى **أحمد الصافى النجفى** حينما أقام بارض الشام بعض الزمن ، فرأى فيها نخلة غير نامية ، لانها غرست فى غير مغرسها ، فضويت كما ضوى هو فى غير بلده ، فأخذ يخاطبها قائلا : ـ

لا أنت نامية ولا أنا نامى
يا نخلة غرست بأرض الشام

عشنا ولكن بانتظار مماتنا
كمعيشة المحكوم بالاعدام

لا فرق بين شبابنا ومشيبنا
فكلاهما وهم من الأوهام

طالت بنا متجمدين حياتنا
لسنا نحس بنكهة الأعوام

وقد تأثر شاعر عراقي آخر هو « **عبد الزهراء الصغير** » حينما زار مدينة شيراز ، فرأى في أحد بساتين سراتها نخلات ذكرته بالعراق ونخيله ، فنظم قصيدة مؤثرة عنوانها « نخيلات شيراز » ٠

وهذا التذكر والحنين الذي تثيره رؤية النخيل في غير أرض الوطن يعود بنا الى ذلك الموقف المؤثر الذي تصفه لنا كتب التاريخ الاندلسي ، حين تروى أن **عبد الرحمن الداخل** ـ أو صقر قريش ـ نظر الى نخلات مغروسات في وادي آش بمدينة قرطبة ، فامتدت به الذكرى الى وطنه العربي في المشرق ، وحن الى قومه وأهله في أرض العرب الطيبة النازحة ، فخاطب تلك النخلات قائلا :

يا نخل ! أنت غريبة مثلي
في الأرض نائية عن الأهل

وللشاعر العراقي الكبير **المهدي الجواهري** ـ هداه الله الى عروبته وأمته ـ مثل هذا الموقف حينما زار مدينة سامراء ، فتذكر وهو بها نخيل الفرات فقال من قصيدة :

احبابنا بين الفرات تمتعوا
بالعيش بين مياهه ونخيله !

ومما يلفت النظر أن الشاعرة العربية المعاصرة ـ على الرغم من مظنة التصاقها بالحضارة الحديثة أكثر من الرجل ـ وصفت النخلة وصورتها في شعرها ، واتخذت من تلك الشجرة السامقة مجالا للتعبير عن مختلف انفعالاتها وتأثراتها ٠ فالشاعرة العراقية « **نازك الملائكة** » ترى في قصيدتها « صوت الأمل » انفراج الأزمة بصفاء الموج في لجة النهر ، وخبو الاعصار ، وعودة النخيل الى الضحك للشطآن كما كن يفعلن قبل العاصفة ، وتقول في ذلك :

سوف تصفو الأمواج في لجة النهـ
ـر ، ويخبو الأعصار خلف التلال

وتعود النخيل تضحك للشط
كما كن في الليالي الخوالي ٠٠٠

وليست النخيل وحدها هي المنفردة بالضحك في مجال البهجة والهدوء ، ولكن الشطآن من ناحية أخرى وفي قصيدة أخرى لنازك تضحك تحت أشجار النخيل ٠٠٠

وتذكرنا مشاركات الشاعرة نازك الملائكة في أدب النخيل بمشاركة أخرى لزميلتها الشاعرة العراقية الرصينة العبارة الدكتورة **عاتكة الخزرجي** ففي ديوانها « أنفاس السحر » الذي صدر مطبوعا لها في مصر منذ أشهر قليلة نجد لها قصيدة : « تباركت يا نخلة الشاطئين » تخاطب فيها النخلة وقد شاب من حولها الزمان ، وهي لا تزال شابة فتية متمتعة بالصبا الدائم ، تسقى من مياه الرافدين وتسقى الناس من حلاوة ثمرها :

أيا حلية النهر في الضفتين
تباركت من آية سامية

فهذا الزمان انطوى عمره
وانت على رغمه باقية

وذا شعره أبيض في عارضيه
وانت ببرد الصبا حاليه

نهلت الخلود من الرافدين
فبوركت مسقية ساقية

ثم تتوسل بعد أبيات الى النخلة أن تظل فؤادها بأفيائها الحانية ، وأن تصونه من لفحات الهجير٠

وللشاعرة المصرية المعاصرة السيدة **جليلة رضا** قصيدة عنوانها : « النخلة الحيرى » تصور فيها سبعا من النخل الرطيب في روضة ، وقد اجتمعن كأنهن في ندوة ، وتمايلت أعطافهن كأنهن عاشقات متيمات ٠٠٠ ولكن بينهن نخلة صغيرة فرقها الدهر عن لداتها ، وعزلها عن صواحبها فغدت وحيدة ، وتعيب الشاعرة على النخلة الحائرة المنفردة وحدتها التي هي صدى للكبر والشموخ فان قوة الابطال لا تكمل الا بالاتحاد ٠ وفي هذه القصيدة من الرمز الواضح ما فيه ٠٠٠

ولم يستقل الشعر العمودي المعاصر بأدب النخلة ، بل رأينا الشعر الجديد الخارج على العمود يشارك في هذه الظاهرة ! فالشاعر العراقي

بدر شاكر السياب يصف « غريبـا على الخليج » ويصور أشباح النخيل ـ في خلال الوصف ـ حين تلقى الفزع في النفس عند الغروب قائلا :

هي وجه أمي في الظلام

وصـوتها ، فيزلقـان مع الرؤى حتى أنام

وهي النخيل أخاف منه اذا ادلهم مع الغـروب
فاكتظ بالأشباح كل طفل لا يؤوب من الدروب

وقد وجد الشـعراء المعـاصرون ـ كما وجد الأقدمون ـ في النخلة مجالا واسعا للتشبيه على طريقة القدماء ٠٠٠ فالشـاعر **محمود سـامي البارودي** يشبه البلح بالأنامل المخضوبة : ـ

للبسر فيها قانيء وناصل
مخضب كأنـه الأنـامل

والشاعر **احمد شـوقي** يشـبه البلح الأحمر بفصوص العقيق :

قد اعتصبت بفصوص العقيق
مفصـلة بشذور الذهب

والشاعر العراقي الذي تعرفه مجلة « الرسالة » قديما : المرحوم **عبد القادر رشيد الناصري** يشبه البلح باليواقيت ، أو بدماء المحبين فيقول :

تلك اليواقيت في الأعذاق قانية
دم المحبين ، لا ضرب من الثمر

والشاعر المصري **محمود غنيم** يشبه البـلح على النخلة بحبات من العقيق ـ مثل شوقي ـ قائلا :

وبدا النخيل ، غصـونه فيروزج
يحملن من صافي العقيق حبوبا

أما النخل ذاته ، فقد شبهه أحمد شوقي بالمآذن تارة ، وبالسارية والمسلة والفنارة تارة أخـرى ، كما شبهه مرة ثالثة بوصائف فرعون أو بناته :

والنخل ممشوق القدود معصب
متزين بمنـاطق ووشـاح

كبنات فرعون شهدن مواكبا
تحت المراوح في نهـار ضـاح

ولجأ بعض الشعراء المحدثين الى تشـبيه النخل بالعرائس ، كما فعل الشـاعر العراقي **محمود الحبوبي** ، وكما فعلت الشاعرة جليلة رضـا حين شبهته بعرائس من الجن ٠٠٠ والتشبيه بالجن هنا يذكرنا بتشـبيه الشاعر **الياس فياض** للنخيل بمردة طوال ٠٠

اما سعف النخل فقد شـبهه بعض المعاصرين بشعر النساء ، أو بالغدائر ، كما نجده عند الشاعر صـالح جودت في قصـيدته : « **ليالي الهرم** » ، وعند الشـاعر **محمد هارون الحلو** في قصيدته : على الشاطيء المسحور ٠

اما رأس النخلة فقد شبهه الشاعر السـوري **انور العطار** بالمروحة ، وشبهه الشاعر أحمد شوقي بالقبة ، وشـبهه الشاعر عبد القادر رشـيد الناصري بالمظلة ٠

وشبه الشاعر **محمود حسن اسماعيل** عرجون النخلة بمنبر يتأرجح عليه راهب النخيل ـ وهو الغراب ـ عند صاحب ديوان : « هكذا أغني »

أما وقفات أشـجار النخيل بقوامهـا الثابت الباسق ، فقد جعلهـا الشاعر « **علي محمود طه** » وقفة الثاكل بجوار قبر الشـاعر المهجري فوزي المعلوف (وكانت هنـاك نخلة بجوار قبره) ٠ وجعلها الشاعر **الياس فياض** وقفة المسحور ٠٠٠ فقد جاءت النخلة تغتسل من النهر فسحرهـا واقفة على ضفته ، وجعلهـا الشـاعر الاجتمـاعي العراقي **معروف الرصافي** وقفة الاحتفال والابتهاج حين اسـتقبل الأديب العربي اللبناني الكبير في أرض العراق قائلا :

ان العـراق بعرضـه وبطوله

وبرافديه وباسقات نخيله

يهتز مبتهجـا بمقدم ضـيفه

ويبش مبتسما بوجه نزيله

مع النيل

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

- ٤ -

وقفنا بالحديث فى المرة السابقة عند قسمى النوبة ، وقسماها هما :

١ ـ النوبة العليا .

٢ ـ النوبة السفلى وهى النوبة المصرية .

النوبة السفلى المصرية : وفيها ثلاث لغات :

١ ـ اللغة العربية

٢ ـ اللغة الكنزية

٣ ـ اللغة الفاجدنا

اللغة الكنزية : ويتكلمها الاهالى من شمال اسوان حتى بلدة (المضيق) . وهى لغة حامية فيها بعض الالفاظ العربية . وهى لغة الحديث بين أصحابها وليست لغة كتابة اذ أنهم فى مكاتباتهم يستخدمون العربية . واصحاب هذه اللغة سموا ... (الكنوز) نسبة الى (كنز الدولة) كان ايام الحاكم بأمر الله شخصا معارضا فاضطهده الحاكم ففر الى الصعيد فجعل الحاكم جعلا لمن يقبض عليه فقبض عليه حاكم منطقة اسوان فكافاه الحاكم بالطبع . ويبدو ان المصريين تندروا عليه كعادتم فسموه (كنز الدولة) اشارة الى المال الذى قبضه من الحاكم ثمنا لوشايته وسموا اتباعه (الكنوز) .

اللغة الفاجدنا : وهى شائعة فى المنطقة من قرية ابو حنضل حتى الجندل الثانى المعروف باسم الشلال الثانى وهى لغة حامية كاللغة الكنزية غير انها يغلب عليها الطابع التركى أو المملوكى . ولهذا قصة .. فعندما اقترف محمد على مذبحة القلعة المشهورة فر المماليك والالبان الى الصعيد ومنه الى بلاد النوبة وتجمعوا فى منطقة (ابريم) على مقربة من عنيبه وهناك اختلطوا بالاهالى وتزاوجوا معهم .

ومما يذكر ان الجمال فى هذه المنطقة عالى النسبة وله طابع جميل فالبشرة الخمرية المشوبة بصفرة خفيفة رقيقة تزيدها شفوفا وحلاوة ، والعيون السود والشعر الفاحم .

والاسماء هناك تسمع بينها (اغا) و (الكاشف) وغير هذا كثير من الالفاظ التركية نجدها فى لغة الفاديجا كما ان بينها وبين اللغة الكنزية الفاظا مشتركة .

ولغة الفاديجا لغة كلام فقط لانهم يكتبون بالعربية ...

ويقول الاستاذ مصطفى عامر فى بحثه (بلاد النوبة السفلى) من كتاب (بلاد النوبة)

يبدو أن اللغة النوبية هى من اصل حامى ، وأنها تأثرت بمؤثرات لغوية خارجية ، وصلتها من الجنوب ومن الغرب ، من أجل هذا كانت اقل نقاوة من لغة البجة . وقد اخذت من اللغة العربية كلمات كثيرة كما تأثرت فى الماضى باللغة المصرية القديمة واللغة القبطية .

وقد بقيت اللغة النوبية مدة طويلة دون ان تكتب ، واستمرت كذلك حتى العصر المسيحى قبيل دخول الاسلام . والمخطوطات النوبية الموجودة ترجع الى العصور الوسطى ،وهى مدونة اساسا بالحروف اليونانية، وتشبه فى شكلها وصفاتها اللغة القبطية.

ويقول :

« ومما هو جدير بالملاحظة أن اللغة النوبية قد قاومت اللغة العربية فى بلاد النوبة ، وحافظت على كيانها بالرغم من الهجرات والغزوات العربية ، وبالرغم من انتشار اللغة العربية فى الشمال من مصر وفى السودان ، ابتداء من دنقلة فى الجنوب ، بل بالرغم من وجود جماعات عربية متغلغلة فى الاقليم مثل قبائل العليقات والعربية بين جماعات الكنوز والفدجة ، وقبائل الشايقية والجوابرة بين جماعات المحس ودنقله .»

ولعل من الطريف ان جماعة مثل اهل البوسنة الذين استقروا فى النوبة منذ الفتح التركى قد تركوا ولا يتكلم من الكنوز اللغة العربية الا الرجال الذين لغتهم الاصلية وجعلوا اللغة النوبية لغتهم . هذا زاروا مصر .

اذن فالاثر هو أثر مصر . وبهذه المناسبة أقول ان انتشار اللغة العربية فى مصر كانت وراءه اعتبارات لم تكن بالنوبة يبعد بنا تفصيلها عن الموضوع .

هذا من حيث اللغات اما من حيث الطبيعة فالنوبة المصرية قسمان أيضا :

القسم الشمالى (البحرى) وهو جدب غالبا ..

القسم الجنوبى وهو ممرع فيه زرع ونخيل ..

اما النوبة السودانية فهى تبدأ من وادى حلفا او على التحديد بلدة (فرس) حيث انقذت البعثة الهولاندية كنيسة فرس .

وصلنا الآن الى قرية (أبو حنضل) التى يتكلم أهلها لغة الفاجدتا . على البعد أرى انسانين كأنهما عصوان سوداوان يدبان على الارض أرجح أنهما من الصيادين لأن الشاطىء عندهما يركن اليه قاربان صغيران من قوارب الصيد .

وبعد قرية (ابو حنضل) مرت باخرتنا امام قرية (الديوان) ويلاحظ ان اسم القرية عليه الطابع المملوكى التركى .

نحن الآن امام قرية (الدر) وكانت قديما قبل انشاء خزان اسوان عاصمة النوبة . وفى الدر معبد لرمسيس الثانى ، وفيها مسجد وفيها مدرسة ابتدائية ونسبة التعليم بالدر مرتفعة نسبيا (بين الذكور بالطبع) .

ويقابل الدر فى الغرب (توماس) وقرية توماس دون سائر قرى بلاد النوبة ، **ستهجر** الى اسنا وذلك ان كثيرين من قريتى توماس وعافية ، هاجروا من تلقاء انفسهم الى اسنا عند التعلية الثانية للخزان واستوطنوا بها . فلما جاء التهجير الجديد احست توماس أن اسنا هى اقرب البلاد اليها .

وتضم قرية توماس نجع الشيخ داود .

وعلى صخور توماس سجل قدماء المصريين فى عهد الدولة القديمة نقوشا كثيرة تنم على اهتمامهم بالنوبة السفلى وقد عثر فى توماس على نصوص ترجع الى عهد ملوك الاسرة الخامسة والسادسة لا بل استشرف اهتمام مصر بالنوبة فى عهد هذه الاسرة الى اكتشاف مجاهل افريقية فوصلت الى الشلال الثانى ثم امتد النفوذ المصرى حتى «كرمه» عند الشلال الثالث . وعند (كرمه) هذه بنى أمنمحات الاول قلعة كما يعزى الى سنوسرت الاول بناء قلعة « كوبان » لفتح مناجم الذهب فى وادى العلاقى .. واتصلت عناية الملوك الفراعين بالنوبة حتى بلغت هذه العناية ذروتها فى عهد رمسيس الثانى صاحب معابدها المشهورة التى تختلف الدنيا فى اشياء كثيرة بصددها وتتفق على انقاذها ، وتذهب الدول مذاهب شتى وتلتقى عندها أثرا نفيسا تعتز به حضارة الانسان .

الآن اتوقف قليلا لاصف معبد (عمدا) والطريق الى عمدا على يمين السابح اليه جبل املس رماله حرير اصفر فى لون المشمش تسطع عليه الشمس فتجعل لونه براقا . وعند القمة تطل رءوس صخور بنية اللون ولكن الجبل فيما يلى النيل قطيفة برتقالية وكأنه حلية للضفة المدلة بالنهر العظيم .

ويلى هذا فى شبه قوس ، جبل تعلوه بيوت صغيرة واشجار طفلة .. تكسو الجبل طبقة رمادية اللون فى مواضع منه ، وفى مواضع اخرى طبقة صفراء وتلمس الشمس المنظر فتجعل الرمادى على البعد بنفسجيا مشربا بحمرة ، وتجعل الاصفر قرمزيا . ويتكرر المنظر على يسارى فيخيل الى أن الجبل يطوق النيل ويجعل من ذراعيه دائرة حوله ، فما تكاد تصل الى محيطها الموهوم حتى تنفرج ذراعا الجبل امام الدافق المنساب فيمضى فى موكبه ونحن فى ركابه ... والجبل فى خدمته مايزال ، فهو يقف آنا ممتثلا ويبدو احيانا على شكل صف من وحوش ضخمة رابضة فى تربص تقوم على حراسة النيل .

اما معبد (عمدا) فقد بناه الملك تحتمس الثالث من ملوك الاسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة ويعتبر تحتمس أعظم ملك مصرى يعتز به تاريخنا سواء فى فتوحاته الحربية ام أعماله الانشائية .

وقد مات العظيم تحتمس ولم يكمل معبد عمدا فأكمله ابنه امنوفيس الثانى ثم تحتمس الرابع .

وفى مدخل معبد عمدا تتضح الثنائية المصرية فعلى يمينه الملك تحتمس الثالث لابسا تاج الوجه البحرى (الاحمر) فى حضرة الاله حورآختى وعلى اليسار نجد تحتمس لابسا تاج الوجه القبلى ، فى حضرة الاله حورآختى .

وفى المدخل نجد (خراطيشا)تحمل اسماء (من معات رع) وهو سيتى الاول والد رمسيس الثانى الذى نقش اسمه على معبد عمدا . وكانت هواية رمسيس الثانى نقش اسمه على المعابد .

وتلى المدخل صالة الأعمدة وفيها ستة أعمدة وعلى الجدار الأيمن من صالة الأعمدة نجد الملك تحتمس الثالث فى حضرة الاله خنوم ثم صورة (تحوت) فى يده قلم على بروز فى الحائط . وتحوت اله الحكمة والمعرفة فى مصر القديمة وكان فى عصر من العصور يعتبر وزيرا للاله رع . وفى هذه الصورة يرمز الفنان المصرى لتحوت بطائر الابيس كما يرمز للاله تحوت بالقرد .

ومن الاله تحوت جاء اسم (التحامسه) فموس معناها مولود . وتحتمس .. (تحوت موسى) الاله تحوت . ويذكرنا هذا بموسى (موسى ى) اى هاتوا المولود : هتفة فرعون عندما رقى اليه الخبر فى القصة المعروفة .

والاله تحوت هو الذى اتخذته جامعة القاهرة شعارا لها .

فاذا تجاوزنا اله الحكمة رب القلم وجدنا صورة اخرى له وهو يسجل سنى حكم الملك فى شجرة تسمى الشجرة المقدسة والشجرة المقدسة (ظاهرة) نراها فى كل المعابد .

ثم تحتمس فى حضرة الاله حتحـور .. ثم فتحة مكتوبة عليها الدعوات ...

وعلى الجدار الغربى من الصالة الملك تحتمس الثالث بتاج الوجه البحرى فى حضرة الاله خنوم ذو رأس الكبش والاله يعطى رمز الحياة الى الملك . ثم تحتمس فى حضرة الاله حورآختى ثم حضره آمون رع ملك الآلهه .

ثم تحتمس فى تاج الوجه البحرى ثم تحتمس فى تاج الوجه القبلى ..

وعلى الجدار الايسر الملك تحتمس فى حضره الالهة ايزيس ثم الاله آمون رع ثم الاله تحوت ثم الملك تحتمس الثالث .

ثم تحتمس الثالث بين الاله حورآختى والالهه سانت زوجة الاله خنوم . وبعد هذا ندخل صاله مستطيلة على الجدار الغربى منهـا ثلاثة مداخل تفضى الى ثلاث حجرات صغيرة .

الحجرة الاولى : على جدارها الايمن نجد الملك امنحتب الثانى فى حضرة الاله رع حورآختى .

وعلى الجدار الايسر نجد الملك تحتمس الثالث فى حضرة الاله رع حورآختى .

وعلى الجدار الغربى الملك امنحتب الثانى فى حضرة الاله آمون رع .

الحجرة الوسطى : على الجدار الايمن نجد الملك تحتمس الثالث فى حضرة الاله آمون رع والالهه سانت والاله حورآختى .

وعلى الجدار الغربى لوحة تذكارية تسجل تاريخ بناء المعبد .

وعلى الجدار الايسر امنحتب الثانى فى حضرة الاله آمون رع ثم فى حضرة الاله حورآختى ثم فى حضرة الالهة حتحور . وفى نهاية هذه الحجرة نجد مدخلين على يمين ويسار يفضيان الى حجرتين صغيرتين كانتا فى الحقيقة جزءين من الحجرة الاولى والحجرة الثالثة ثم عزلا عنهما فى العصر القبطى .

الحجرة الثالثة : وبها صور للملك فى حضرة الالهة المختلفة .

ويلاحظ أن نقوش هذا المعبد وكتاباته بارزة .

ومعبد عمدا يعتبر من اكبر المعابد الموجودة فى النوبة كما انه اول المعابد التى شوهت فى عصر الملك اخناتون الذى كفر بالآلهة ونبذ الاله آمون ودعا الى عبادة الاله آتون اى القوة التى تحرك قرص الشمس . وهو اسمى ماوصل اليه تفكير الانسان قبل الرسالات والانبياء .

ومعبد عمدا من المعابد التى تحولت الى كنائس، ولنقوش معبد عمدا اهمية تاريخية .

نحن الآن امام قرية «عافية» وفيها عملت البعثة الهولندية . ارى سربا من البط ابيض الرءوس والرقاب اسود الجسم سابحا فى النيل فى وحدة متآلفة كما تخرج نسـاء الريف جمعا يتهادى . وامواج النيل قمم خضراء يتتابعن صـفوفا فى راى العين واحيانا يبدو النهر الجميل المشوقق كأن صفحته حرير اخضر من (كاروهات) متحركة كبيرة فضية بريقها خاطف (كالبدرة) ولكن التى تلقيها هنا ام (العريس) .

وبعد قرية عافية قرية (قتا) ثم قرية (ابريم) ثم قرية (عنيبه) وقد اصبحت عنيبه مركز النوبة بعد الدر . وفيها مستشفى كبير ومدرسة ثانوية داخلية ومركز بوليس ويعقد بها مجلس قضائى كل اسبوع ، اذ يأتى اليها قاض من أسوان يفصل فى المشاكل العادية اذ لاتقع بالنوبة جرائم . وفى عنيبه مشروع الطلمبات ، وبها ارض مستصلحة ، وبها من

من ملحمة عمر

فتح بيت المقدس

المشهد الرابع

• بقلم : علي أحمد باكثير •

في بيت الشيخ صفرونيوس بطريق بيت المقدس وعنده رومانوس متنكرا في زي قسيس .

رومانوس : ما بالك تنظر الى ؟

صفرونيوس : هذا الزى الذى عليك .

رومانوس : لا تخف .. لن يعرفنى فيه أحد . لقد لقينى اليوم أحد معارفى من بصرى وجها لوجه فلم يعرفنى .

صفرونيوس : أين لقيك ؟

رومانوس : عند باب المدينة وأنا داخل .

صفرونيوس : ليتك تبقى فى زيك هذا الى الأبد .

رومانوس : (يضحك) تتمنى أن أعود مسيحيا كما كنت ؟

صفرونيوس : نعم فمثلك ينبغى أن يعود الى الحظيرة .

رومانوس : وانا أتمنى لو يهديك الله كما هدانى .

صفرونيوس : (فى شىء من الغضب) رومانوس .. انظر ما تقول !

الآثار مقبرة (بنوت) حاكم الاقليم فى عصر رمسيس السادس .

والى الشمال من عنيبه توجد مقبرة اهتم بها الخبراء واوصوا بنقلها .. مقبرة لاتزال نقوشها تزهو بالوانها وان لم يبق منها غير غرفة صغيرة تلك هى مقبرة بنوت الذى نحتها فى الصخر فى عهد الملك رمسيس السادس .

وهذه المنطقة التى تضم (عنيبه) و (قصر ابريم) منطقة اثرية كان الفراعنة يرتكزون عليها فى الدفاع عن الجنوب واحجارها تحتفظ باسماء الملوك تحتمس وطهراقة . كما تحتفظ صخور منطقة معبد الليسية الذى بناه الملك تحوتمس .. الثالث بنقوش يرجع تاريخها الى عهد الدولة الحديثة .. وبين الليسيه وقصر ابريم نقوش من الاسرة الحادية عشرة .

وفى جنوب قصر ابريم كنيسة صارت الى مسجد وان ظلت تحتفظ بطابعها المعمارى ، وقد اوصى الخبراء بنقلها .

واخيرا هناك هياكل ابريم وعددها خمس لملوك مصر :

تحوتمس الثالث ورمسيس الثانى والملكة حتشبسوت وتحوتمس الثالث وامنوفيس الثانى الذى تمثله النقوش فى عزة الفراعنة يتقبل الجراية من اهالى الجنوب .

دكتورة نعمات احمد فؤاد

رومانوس : لا تغضب يا سيدى البطريق انك حين تصير مسلما تكون مسيحيا وزيادة .

صفرونيوس : لا أريد الزيادة .. أريد أن أكون مسيحيا فحسب .

رومانوس : اذن يفوتك خير كثير ..

صفرونيوس : اسمع يا رومانوس .. ان شئت ان تبقى صديقا لى فاكفف عن دعوتى الى دينك .

رومانوس : ماذا يضيرك من ذلك ؟

صفرونيوس : تجادلنى فى دينى وتقول لى مايضيرك من ذلك ؟

رومانوس : انا أجادلك بالتى هى أحسن .

صفرونيوس : لا أريد جدالا البتة .. لا بالتى هى أحسن ولا بالتى هى أسوأ .

رومانوس : تذكر يا سيدى انك انت الذى بدأت فى جدالى ..

صفرونيوس : كلا انا ما جادلتك وانما لمتك على ارتدادك عن دينك ودين آبائك .

رومانوس : ان الحواريين الذين آمنوا بالسيد المسيح قد اتهمهم اليهود بالردة والضلالة كما تتهمنى الآن .

صفرونيوس : أين هذا من ذاك ؟

رومانوس : لو فتحت قلبك للحق ولم تتبع الهوى لا يقنت الا فرق بين هذا وذاك .

صفرونيوس : ان الحواريين لم يخونوا قومهم .

رومانوس : لكنهم خانوا قيصر اذ وفوا لله .. وانا كذلك ما خنت قومى وانما خنت قيصر اذ وفيت لله والله أكبر من قيصر .

صفرونيوس : انك سلمت بصرى للغزاة .

رومانوس : بل حقنت دماء أهلها اذ حملت المسلمين على مصالحتهم بعد ماانتصروا عليهم .

صفرونيوس : ما كان المسلمون لينتصروا لو لم تعنهم وتدخل فى دينهم .

رومانوس : فكيف انتصروا على ولايات دمشق وحمص وقنسرين وانطاكية وغيرها؟ هل أسلم حكام هذه الولايات كما اسلمت ؟ وهل أعانوهم كما زعمت انى أعنت ؟

صفرونيوس : اتنكر انك أعنت المسلمين ؟ الم تحفر لهم ذلك الممر السرى من الأسوار الى بيتك ؟

رومانوس : ما حفرته ليدخل منه المسلمون بل لأخرج أنا من خلاله . فقد ائتمر بى رجال الدين فى المدينة وأوعزوا للجيش فحاصروا بيتى وحبسونى فيه .

صفرونيوس : لأنك جاهرت بالاسلام ودعوتهم اليه .

رومانوس : أجل انى آمنت بهذا الدين عن اقتناع وبعد طول نظر وتفكير وظللت أكتم ايمانى حتى وقف المسلمون على أبواب بصرى فدعوت أهلها الى الاسلام حتى يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فنفروا وثاروا وحاصروا حيصة حمر الوحش ، فدعوتهم الى مصالحة المسلمين فأبوا كذلك فقلت اختاروا من بينكم من يحكمكم مكانى ودعونى أخرج من مدينتكم وأنضم الى المسلمين فأبوا على ذلك وحبسونى فى بيتى وتوعدونى بالقتل ، فما كان منى الا ان حفرت ذلك السرداب فتسللت منه لأنجو بحياتى ودينى .

صفرونيوس : لكن المسلمين دخلوا الى المدينة من ذلك السرداب وأنت دللتهم عليه .

رومانوس : أو تظن انهم كانوا يعجزون عن فتحها لولا السرداب ؟ لقد حضر خالد بن الوليد اذ ذاك وأوشك أن يقتحم أسوارها ، واذن لاعتبرها فتحت عنوة ولما رضى أن يصالح أهلها على الجزية .

صفرونيوس : لكن أهل بصرى ما زالوا يعتبرونك خائنا لهم ·

رومانوس : بعض رجال الدين من الميكانيين فقط · أما سائر أهلها وأكثرهم من اليعاقبة فيدركون انني أنقذتهم من سوء المصير وحفظت عليهم حقوقهم وأملاكهم وأعدت الى مذهبهم ماسلبه القيصر من حريته ·

صفرونيوس : (يتنهد) صدقت يا رومانوس · ان البدعة التى فرضها هرقل على الناس كانت أكبر عون لهؤلاء المسلمين اذ جعلت قلوب الناس تميل اليهم وترحب بانتصارهم ·

رومانوس : اذا قضى الله أمرا هيا له الاسباب ومهد له السبيل ، وقد قضى بظهور هذه الرسالة الجديدة لتخرج الناس من الظلمات الى النور ومن العبودية الى الحرية ·

صفرونيوس : عدت مرة أخرى الى التبشير بدينك·

رومانوس : كلا يا سيدى البطريق (يتلو آية القرآن) « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » · من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما ربك بظلام للعبيد ·

صفرونيوس : ما هذا ؟

رومانوس : آيات من القرآن ·

صفرونيوس : لماذا اذن تحاول أن تكرهنى على دينك ؟

رومانوس : ان الذى حاول أن يكرهك على غير دينك انما هو هرقل · أما الاسلام فقد جاء ليضمن لك ولغيرك الحرية فيما تدينون وما تعتقدون (يتلو آن القرآن) « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ·

صفرونيوس : أهذا من القرآن أيضا ؟

رومانوس : نعم ·

صفرونيوس : آه لو ترك هرقل الناس أحرارا فى مذاهبهم · آه لو لم يصغ الى بدعة سرجيوس ·

صفرونيوس : فى امكانك انت أن تتدارك هذا الأمر اذا صالحت المسلمين على ايلياء ·

رومانوس : قد علمت اننا طلبنا ان يجىء أمير المسلمين بنفسه ليعقد معنا كتاب الصلح ·

صفرونيوس : لكن الاطربون غير مخلص فى طلبه هذا وأخوف ما أخافه ان يأتى أمرا يعرضكم جميعا لغضب المسلمين ·

رومانوس : لسنا مسئولين عن الاطربون ·

صفرونيوس : بل أنتم مسئولون عنه ما دام يتكلم باسمكم ·

رومانوس : انه حاكم فلسطين من قبل هرقل فماذا نصنع ؟

صفرونيوس : انت بطريق ايلياء ولك فى قلوب أهلها مكانة ليست للأطربون ·

رومانوس : أتريد منى يا رومانوس أن أخلع سلطان هرقل ؟

صفرونيوس : ان كنت تريد أن تنقذ المدينة المقدسة ·

تنوع العقوبات في الشريعة

بقلم: أحمد فتحي بهنسي

شرع الله تعالى العقوبات فى الجنايات التى تقع من الناس بعضهم على بعض فى النفوس والأبدان والأعراض والأموال كالقتل والجراح والقذف والزنا والسرقة فأحكم سبحانه وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الاحكام .

ولا نجد كلمة نقدم بها هذا المقال اروع من كلمة قيمة **لابن قيم الجوزية** قال فيها :

« ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه لما خلق العباد وخلق الموت والحياة وجعل ما على الأرض زينة لها ليبلو عباده ويختبرهم أيهم أحسن عملا ، لم يكن فى حكمته بد من تهيئة أسباب الابتلاء فى أنفسهم وخارجا عنها ، فجعل فى أنفسهم العقول الصحيحة والأسماع والأبصار والارادات والشهوات والقوى والطبائع والحب والبغض والميل والنفور .

ثم أكد أسباب هذا الابتلاء بأن وكل بها قرناء من الأرواح الشريرة الظالمة الخبيثة وقرناء الأرواح الخيرة العادلة الطيبة ، وجعل دواعى القلب وميوله مترددة بينهما ، فهو الى داعى الخير مرة والى داعى الشر مرة ليتم الابتلاء فى دار الامتحان ، وتظهر حكمة الثواب والعقاب فى دار الجزاء .

فلم يكن بد من حصول مقتضى الطباع البشرية وما قارنها من اسباب التنافس والتحاسد والانقياد لدواعى الشهوة والغضب وتعدى ماحد له والتقصير عن كثير مما تعبد به ، وسهل ذلك عليها اغترارها بموارد المعصية مع الاعراض عن مصادرها ، وايثارها ماتتعجله من يسير اللذة فى دنياها على ماتتأجله من عظيم اللذة فى أخراها ، ونزولها على الحاضر المشاهد، وتجافيها عن الغائب الموعود وذلك بموجب ماجبلت عليه من جهلها وظلمها فاقتضت أسماء الرب الحسنى وصفاته العليا وحكمته البالغة ونعمته السابغة ورحمته الشاملة وجوده الواسع ألا يضرب عن عباده الذكر صفحا ، وألا يتركهم سدى ولا يخليهم ودواعى أنفسهم وطبائعهم ، بل ركب فى فطرهم وعقولهم معرفة الخير والشر ، والنافع والضار والألم واللذة ومعرفة أسبابها ولم يكتف بمجرد ذلك حتى عرفهم به مفصلا على السنة رسله وقطع معاذيرهم ، بأن أقام على صدقهم من الأدلة والبراهين مالا يبقى معه لهم عليه حجة « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينه وان الله لسميع عليم » .

وقد نص الله تعالى على قطع يد السارق ولم ينص على قطع فرج الزانى ولا لسان القاذف وذلك لان كل جريمة من هذه الجرائم تتفاوت فى كبرها أو صغرها كما تتفاوت فى الأثر الذى تتركه بين الناس .

لذلك حدد الله عقوبته جرائم الحدود ولو ترك تحديدها للأفراد أو للجماعات لذهبت بهم الآراء كل مذهب وتشعبت بهم الطرق كل متشعب فرتب على كل جناية مايناسبها من العقوبة ويليق بها من النكال ، وجعل تلك العقوبات كفارات لأهلها ، وطهرة تزيل عنهم المؤاخذة فى الآخرة وخاصة بعد التوبة النصوح .

وقد جعل الله هذه العقوبات تدور فى فلك الأصول الآتية :

أولا ـ القتل :

القتل ، القطع ، الجلد ، النفى .

وقد جعله الله عقوبة :

١ ـ لمن يعتدى على النفس وذلك حتى تكتب الحياة للآخرين قال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يأولى الألباب » فالعقوبة من جنس العمل .

٢ ـ كما جعله عقوبة للمرتد الذى يكفر بعد اسلامه قال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » . « لايحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد احصان ، وقتل نفس بغير نفس » .

فلا خير للمجتمع فى انسان يرتد عن دينه ويمعن فى ذلك فلا يستجيب الى نصيحة ولا رجاء له بالرجوع الى دينه فاستئصاله من المجتمع صلاح له اذ أن فى بقائه بين أظهر العباد مفسدة لهم ٠

٣ ـ وجعل الموت رجما جزاء وفاقا على ارتكاب جريمة الزنا ، لأن فيه اختلاطا للأنساب وانتهاكا للأعراض فاذا كان الجانى محصنا اى سبق له زواج صحيح وارتكب الزنا وثبت عليه ذلك فانه يقتل رجما وذلك لأنه لا عذر له كالذى لم يتزوج ٠

٤ ـ وجعل القتل أيضا عقوبة لقاطع الطريق من المحاربين الذى يقتل المجنى عليه ويأخذ ماله أو يقتله ولو لم يأخذ ماله ، وعلى قول مالك يقتل قاطع الطريق

اذ رآه الامام مجرما اعتاد الاجرام ولو لم يقتل وذلك لاخلاله بالأمن العام وامعانه فى الفساد والافساد ٠

٥ ـ وجعل القتل أيضا ـ على قول بعض الفقهاء ـ عقوبة للمفسدين فى الأرض وقد استدل الجصاص لهذا الرأى بآية :

« من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا » ٠

ثانيا ـ القطع :

وجعل قطع اليد عقوبة :

١ ـ للسارق فكانت عقوبته أبلغ وأردع من عقوبة الجلد فكان أليق العقوبات به ابانة العضو الذى جعل وسيلة الى أذى الناس وأخذ أموالهم ٠

واحتاطت الشريعة فجعلت الحد الأدنى لقطع يد السارق ربع دينار ولما كانت دية اليد خمسمائة دينار أى نصف الدية الكاملة فقد دعا ذلك بعض اليهود الى الاعتراض قائلا :

يد بخمس مئين عسجد وديت
ما بالها قطعت فى ربع دينار

تناقض مالنا الا السكوت له
ونستجير بمولانا من العار

فأجابه أحد الفقهاء قائلا :
عز الأمانة أغلاها ، وأرخصها
ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

وروى أن الامام الشافعى رضى الله عنه أجاب أيضا بقوله :

هناك مظلومة غالت بقيمتها
وههنا ظلمت هانت على البارى

كما نسب البعض هذا التساؤل الى المعرى ـ وأن شمس الدين الكردى أجابه قائلا :

قل للمعرى عار أيما عار
جهل الفتى وهو عن ثوب التقى عار

لاتقدحن زناد الشعر عن حكم
شعائر الشرع لم تقدح بأشعار

فقيمة اليد نصف الألف من ذهب
فان تعدت فلا تسوى بدينار

والشريعة عاقبت السارق بقطع يده ولم تعاقب المنتهب أو المختلس أو الخائن بذلك ٠ وذلك

لأن السارق لايمكن الاحتراز منه فانه يأخذ الشىء خفية مستترا عن مالكه ٠

أما المنتهب والمختلس والخائن فانه يأخذ الشىء مجاهرة فيعلم به المجنى عليه ٠ كما قد يعلم به العامة فيمكنهم متابعته وضبطه وتسليمه الى السلطة العامة٠

ولو لم يشرع القطع لسرق الناس بعضهم بعضا وعظم الضرر واختل الأمن ٠

٢ ـ كما جعل القطع عقوبة لقطاع الطرق قال تعالى :

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » ٠

وقال ابن قيم الجوزية :

ولما كان ضرر المحارب أشد من ضرر السارق وعدوانه أعظم ضم الى قطع يده قطع رجله ، ليكف عن عدوانه ، وشر يده التى بطش بها ، ورجله التى سعى بها ، وشرع أن يكون ذلك من خلاف لئلا يفوت عليه منفعة الشق بكماله ، فكف ضرره وعدوانه ، ورحمه بأن أبقى له يدا من شق ، ورجلا من شق ٠

ثالثا ـ الجلد :

وقد جعل الجلد عقوبة فى الجناية على الأعراض والعقول ٠

١ ـ فى الزنا :

قال تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد

منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بها رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ٠

فالزانى غير المحصن عقوبته الجلد مائة جلدة وعقوبة المحصن – كما سبق – الرجم ٠

ولم يجعل الشارع عقوبة الزانى غير المحصن الاستئصال بصفة مطلقة كما فعل فى السارق أو الزانى المحصن وذلك لانه لم يعلم ماعلمه المحصن ولا عمل ماعمله ، فكان له من العذر ماأوجب له التخفيف فحقن دمه وزجره بايقاع الألم على جميع بدنه ردعا له عن المعاودة للاستمتاع بالحرام ٠

كما لم تجعل عقوبة الزانى استئصال فرجه لأن فى ذلك تعطيلا للنسل ولانه غير متصور فى حق المرأة ٠

٢ – فى القذف :

قال تعالى : والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ٠

وقد ذكر الفقهاء ان القاذف يضرب وعليه ثيابه ٠ وحدث أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم انه قال : اما الزانى فتخلع عنه ثيابه ويضرب فى ازار ، وتلا « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » قال : وكذلك الشارب يضرب فى ازار ٠

٣ – فى شرب الخمر :

لما كانت الجناية على العقول بالسكر لا تتعدى مفسدتها السكران غالبا وكانت عقوبتها غير مقدرة من ناحية الشارع ، بل ضرب فيها بالأيدى والنعال وأطراف الثياب والجريد ، وضرب فيها اربعين واستخف الناس بأمرها غلظ الخليفة عمر بن الخطاب العقوبة فجعلها ثمانين بالسوط ، ونفى فيها وحلق الرأس ٠

رابعا – النفى :

التغريب او النفى هو ابعاد المحكوم عليه الى مسافة تقصر فيها الصلاة لأن مادون ذلك فى حكم الموضع الذى نفى منه فان انقضت مدة النفى فهو بالخيار بين الاقامة وبين العودة الى بلده ٠ وقد جعل النفى ملحقا بالعقوبات فى الحدود الآتية :

١ – نفى الزانى :

قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « خذوا عنى ، خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا ٠ البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » ، ومع ذلك فقد منع ابو حنيفة تغريب الزانى اقتصارا على جلده واحتجوا بقوله تعالى « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » ٠

٢ – نفى قاطع الطريق :

قال تعالى فى حق قطاع الطريق : « أو ينفوا من الأرض » ٠

وقد اختلف أهل التفسير على أقوال مختلفة فى تفسير معنى كلمة النفى الذى ورد فى هذه الآية والراجح أنه الابعاد وهو قول ابن عباس والشافعى ٠

تلك هى العقوبات التى نص عليها لمعاقبة مرتكبى جرائم الحدود وهى الجرائم التى تقع من الأفراد وتخل بنظام المجتمع ويتدخل ولى الأمر لعقاب مرتكبيها ٠ وكمبدأ عام لايجوز فيها عفو ولا تقبل فيها شفاعة ولها عقوبة محددة فى الشرع ٠ وقد اقتضت الحكمة الالهية أن تتم عقوبة الجناة والمفسدين بمؤلم يردعهم نكالا وعظة لمن يريد أن يفعل مثل فعلهم ٠

وكما قال ابن قيم الجوزية بحق :

انه من المعلوم ببداهة العقول أن التسوية فى العقوبات مع تفاوت الجرائم غير مستحسن ، بل مناف للحكمة والمصلحة ، فانه ان ساوى بينها فى أدنى العقوبات لم تحصل مصلحة الزجر ، وان ساوى بينها فى أعظمها كان خلاف الرحمة والحكمة، اذ لا يليق أن يقتل بالنظرة والقبلة ويقطع بسرقة الحبة والدينار ٠ وكذلك التفاوت بين العقوبات مع استواء الجرائم قبيح فى النظر والعقول ٠ وكلاهما تأباه حكمة الرب تعالى وعدله واحسانه الى خلقه ، فأوقع العقوبة تارة باتلاف النفس اذا انتهت الجناية فى عظمها الى غاية القبح كالجناية على النفس أو الدين أو الجناية التى ضررها عام ، فالمفسدة التى فى هذه العقوبة ، والمصلحة الحاصلة بها أضعاف تلك المفسدة ٠

عازف الخراب

للشاعر محمود حسن اسماعيل

بالله ، ياتراب
يا عازف الخراب

يا مشجي السكون
بفجة المنون

يا ساقى الفضاء
تأوه الفناء

يا سارق الضياء
من مهجة الرجاء

يا خاطف الرحيق
من دربه الوريق

يا منهى الطريق
بفورك السحيق

يا كاذب الدروب
يا ساكب الغروب

يا خابىء الجراح
فى بسمة الصباح

يا أبكم النداء
من شفة القضاء

يا حادى الوجود
بمزهر اللحود

يا قاتل الصفاء
بنشوة اللقاء

يا بين جنتين
وخلف طائرين

وهمس عاشقين
وكاس شاربين

ترش فى الأعراس
خمرا بغير كاس

وتخبأ السلاح
فى عطرها الفواح

فتذهل الفناء
بسكرة الخفاء

لتعصر النسيم
من صدرها اللطيم

وتلطم الوجوه
بموجها المشدوه

زئيره سكون
وصمته عيون

تشخر بالزوال
فى مدفن الخيال

يربض فى الشفاه
وفى شفا الحياه

وفى يقين المؤمن
وفى رحيق المدمن

وخلف كل سار
فى غفلة المدار

تمرق كالظنون
ورجفة الجنون

وتغرق المصير
فى لجها النضير

وتختفى فى العود
كالنغم المردود

وتخدع الرياح
بالصوت ، والجناح

وتلسع القلوب
بسمها المسكوب

وفجاة .. تلوح
كعاصف ذبيح

وخطوه وقوف
وسره كهوف

وطيفه دمار
ملثم الحصار

وفى جبين الساجد
وهمهمات العابد

وفى عذاب الضارع
وفى ضباب الخادع

وفي شهيق تائب
وفي نقيق كاذب

جلاد كل شي
حصاد كل حي !!

بالله يا تراب
اما لديك باب ؟

يخفيك عن عيوني
وعن مدى ظنوني

يا خادع الأنام
بوجهك القسام

وانت في النهايه
مبدد الحكايه

تقعى على الجبين
بذلك المهين ! !

بالله يا تراب
لا ترفع الحجاب

وانفض عن عيوني
بوجهك الحؤون

فلم تزل حياتي
تريد كل آت

لأملأ الكؤوسا
واملأ النفوسا

واهتك الستارا
عن كل ما توارى

واغرف العبيرا
لأسقى الصدورا

ما زلت في صدايا
انبش في حشايا

وأرتمي في ذاتي
أبحث عن حياتي

أستل من دجاها
ومن جوى ضحاها

ما يرفع اللثاما
ويفضر الظلاما

ضوءا لكل سار
الا خطا غباري

محمود حسن اسماعيل

سيأتي غداً

للشاعرة : عزيزة كاتو

تقول بانك يوما ستاتي .. تقول غدا
وتنسى بأن المساء يمد الى اليدا
ويلقي بجذوة قلبي الصغير .. لعمق الردى ..

***

وأن الصباح بعيد .. بعيد .. بلا مبتدا ..
تموت الحكايا الى أن يعود .. ويفنى الصدا
جموع العصافير ضلت بسفحي .. وجف الندى ..

***

وضاعت بدربي ألوف النجوم .. فلن تصعدا ..
ويعبر قلبي اليك التخوم .. ويطوى المدى ..
ويسعى اليك .. وترفض أن يرتجى موعدا

***

فاخشى عليه ضياع السنين .. واحيا سدى
وأبعث دوما ندائي اليك .. وحار الندا ..
اخاف عليك مرور الليالى .. واخشى العدا

***

وانت الضياء يحيط بعمرى .. وانت الهدى ..
ولولاك عمرى لم يك شيئا .. ولن اوجدا ..
صباحي غدا ياحبيبي .. فهل انت حقا ستأتي غدا ؟

مع أبي قاسم الشابي

بقلم : مظلوم خضر

● ان معاني الحب وجمال الطبيعة عندما تداعب مشاعر الانسان تذكره بشاعر الحب والجمال « أبي القاسم الشابي » الذي نشأ في بلدة « الشابية احدى بلاد » شط الجريد » الجميلة في تونس ، تلك المنطقة التي حبتها الطبيعة بمناظر خلابة غاية في الحسن وآية في الجمال مما كان له أجمل الأثر في خيال الشاعر الرومانتيكي الرقيق ... تنقل الشاعر في رحاب تونس الخضراء ، ونهل من معارف جامعة الزيتونة العريقة ، وامتزجت مشاعره بمختلف الآداب والفنون ، وبخاصة « الأدب المهجرى والرومانسي » الذي انعكست صورته على أدب الشابي وفلسفته في الحياة ، وتابع دراسته حتى حصل على شهادة الحقوق في عام ١٩٣٠ ...

***

كانت حياة الشابي ـ التي تتجاوز الخمسة والعشرين ربيعا ـ صورة صادقة لأنواع الحرمان ، مليئة بالأشجان .. اذ قست عليه الحياة وهو لم يزل بعد غضا نضيرا .. فتوفي والده وأثقلت كاهله مسئولية الحياة من بعده وداهمه المرض وهو في زهرة العمر وريعان الصبا ، فقد بعد ذلك صورة أحلامه ورفيقة شبابه « محبوبته » التي بثها أشجانه وآماله .

فكان لتلك العوامل مجتمعة أثرها القاسي في حياه شاعرنا ، وترجمت حياته الى الحان خالدة ، وأغان عذبة ، وجداول لا ينضب معينها من الحب والجمال والعاطفة ... والتشاؤم والرومانتيكية المتأصلة في مشاعره ، وهذا نلمسه في تلك الصوره المعبرة من الحانه :

١ ـ لقد ناجى الطبيعة وتغنى بجمالها واتخذها سلوته وأنيسه ينتزع منها صورا جميلة تفيض بالمشاعر الرقيقة العذبة الحلوة النضرة ، مبتهجا سعيدا يغرد مع البلابل ويناجي الفجر والضياء : ـ

ليت لى ان اعيش فى هذه الدنيا
سعيدا بوحدتي وانفرادى

أصرف العمر فى الجبال وفى الغابات
بين الصنوبر المياد

واغنى مع البلابل فى الغاب
وأصغى الى خرير الوادى

واناجى النجوم والفجر والأطيار
والنهر والضياء الهادى

بل لقد ذهب الشابي في حبه للطبيعة الى حد أنه شيد لنفسه فيها مسرحا كبيرا تتغنى فيه العيون بأعذب الألحان ، وتداعب الطبيعة الأغصان فتتراقص كالصبايا امام ناظريه :

اى دنيا مسحورة اى رؤيا
طالعتنى فى ضوء هذى العيون

زمر من ملائك الملأ الأعلى
يغنون فى حنو حنون

وصبايا رواقص يتراشقن
بزهر التفاح والياسمين

فى فضاء مورد حالم ساه
أطافت به عذارى الفنون

***

٢ ـ بلغ الشابي قمة ألحانه عندما صور لنا مشاعره الحانية من حب صادق وعاطفة حارة ، فتغنى بحبه العذرى البرىء ، وأيامه الحلوة التى عاشها فى سعادة مع رفيقة صباه .. ثم لم تلبث هذه السعادة أن بددها لحن الموت الحزين : ـ

كنا كزوجي طائر في دوحة الحب الأمين
نتلو أناشيد المنى بين الخمائل والغصون
متفردين مع البلابل في السهول وفي الحزون
ملأ الهوى كأس الحياة لنا وشعشعها المنون
فاراق خمر الحب في وادي الكآبة والأنين
وشدا بلحن الموت في الأفق الحزين المستكين
ثم اختفى خلف الغيوم كأنه الطيف الحزين

***

٣ ـ كان الشابي كأي بشر انسان تتنازعه عوامل الحياة المتباينة من أمل وألم ، ومن تفاؤل وتشاؤم ، الا أنه كان مرهف الحس رقيق المشاعر اذا أحب بنى لحبه معبدا رومانسيا حالما أنيقا ... تتعانق فيه الأغصان ، وتشدو فيه البلابل بألحانها العذبة ـ كتلك الصورة السابقة ، واذا ما عصف بحبه الموت وأرخت عليه الأحزان ستائرها « القاتمة » السوداء تجده متشائما حزينا يائسا من الحياة كلها ،، يبدد « بزفراته الملتهبة » نسيم الحياة ويتجرع كأس المنون مترعا :

ياموت .. ماذا تبتغي مني وقد مزقت صدري
ماذا تود !! وأنت قد سودت بالأحزان فكري

ان كنت تطلبني فهات الكاس أشربها بصبر
أو كنت ترقبني فهات السهم أرشقه بنحري

خذني اليك !!! فقد تبخر في فضاء الهم عمري
خذني اليك !!! فقد ظمئت لكأسك الكدر الأمر

● وبعد !! فهل كان « الشابي » متشائما حزينا يرفض الحياة بعنف الى هذا المدى !! وهو الذي تغنى كأعمق ما يكون الغناء .

ان الاجابة على هذا .... تتجلى بوضوح في حبه للحياة وايمانه بها وفي ارادته الجبارة القوية التي تأبى الاستسلام لعوامل الحياة القاسية .. تلك الارادة النافذة التي تلمسها في تحديه للعواصف والظلال « القاتمة » والأنواء التي صادفته في حياته :

سأعيش رغم الداء والأعداء

كالنسر فوق القمة الشماء

ارنو الى الشمس المضيئة هازئا

بالسحب والأمطار والأنواء

لا ارمق الظل الكئيب ولا ارى

ما في قرار الهوة السوداء

واسير في دنيا المشاعر حالما

غردا وتلك سعادة الشعراء

اصغى لموسيقى الحياة وروحها
واذيب روح الكون في انشائي

وهكذا سيبقى هذا الشاعر صديقا للحياة ولحنا تتغنى به البشرية .



عالم النظائر

تأليف: ف. نيزنتسوف
عرض: رءوف زكي

على مشارف فترة جديدة فى حياة البشر :

لقد تعرف العلماء لأول مرة على الطاقة النووية فى بداية القرن ، حيث اكتشفت مواد خاصة مشعة . وظلت تلك الاكتشافات فى حدود المعمل الى أن امكن كبح جماح تلك الطاقة وادخالها فى الحياة العملية ولا يرجع اكتشاف وسائل الحصول على الطاقة الذرية الى عالم معين أو علماء بلد معين . وقد أصبحت الطاقة الذرية وسيلة لتوليد الطاقة بعد أن امكن تحويلها الى طاقة حرارية أو طاقة كهربية . وهناك تطبيقات أخرى لتلك الطاقة ، فان المواد المشعة أو بتعبير أكثر شيوعا ، النظائر المشعة قد بدأت تدخل فى تطبيقات واسعة فى الصناعة والزراعة والطب والبحث العلمى عموما . وتفتح تلك العناصر المشعة امكانيات كبار لتتبع الجزيئات غير المرئية من المادة ، ولرؤية الذرات المفردة فى العناصر الكيميائية . وقد أصبحت الهندسية الذرية فرعا هاما من فروع الصناعة الحديثة .

مصانع النظائر المشعة

يمكن بالتصوير الاشعاعى التفريق بين ذرة الزئبق وذرة الذهب وغيرها . فعند تحلل المواد المشعة تصدر نواة الذرة ثلاثة أنواع أساسية من الاشعة : أشعة ألفا وهى تحمل شحنة كهربية ايجابية ، وأشعة بيتا وهى تحمل الكترونات ذات شحنة كهربية سالبة . وأشعة جاما وهى تشبه لحد كبير الأشعة السينية (×) . وعليه فان أشعتى الفا وبيتا اذا خرجتا من نواة تتحولان الى نواة عنصر آخر ، وهكذا يتحول هذا العنصر . وقد أمكن احداث هذا التحول صناعيا . وهذا ما قام به عالما الطبيعة الفرنسيان ايرين وفردريك جليو كورى ، عندما حصلا على ذرات مشعة (نظائر) من عناصر ساكنة كالنيتروجين والفوسفور . ومنذ ذلك الحين أمكن للعلماء ايجاد تلك «التوائم الكيماوية» أو «النظائر» .

انك تجد على بعد أميال قليلة من موسكو المحطة السوفيتية لتوليد الطاقة . وهى مؤسسة من ثلاثة طوابق كما لو كانت مدرسة ، فيما عدا وجود مدخنة لا يخرج منها دخان . ويخيل اليك أنها لا تعمل ، ولكن الحقيقة انها تعمل وانها تنتج الكهرباء . وتتكون المحطة من ثلاثة مبان أساسية . ويشمل البناء الاول المفاعل وغرفة المراقبة محاطا بحاجز من الجرانيت حيث يوجد المحول الحرارى والطلمبات والمعدات المتصلة بالبحث العلمى . والبناء الثانى تتم فيه عملية التوليد الكهربى بوساطة توربين . وفى المبنى الثالث نظام للتهوية يحافظ على الحجرات من الاشعاعات الضارة والغازات المولدة من المفاعل . وهكذا يلعب المفاعل النووى دور غلاية البخار فى محطات التوليد التقليدية . ولكن بدلا من الماء هنالك المعدن الثقيل الفضى وهو اليورانيوم .

ونظرا لخطورة الاشعاعات الذرية على الكائن البشرى توضع كمية ضخمة من التحصينات فيحاط المفاعل باسطوانة من الخرسانة المسلحة وأنواع معينة من الصلب والرصاص والماء ... الخ . تلك التى تمنع الاشعاعات من التسرب . هذا بالاضافة الى حائط خارجى مغلق من الصلب ، محاط بشريحة من الماء عرضها متر . ثم حائط من الخرسانة عرضه ثلاثة امتار ، وغطاء كثيف من أعلى من الصلب والحديد الزهر .

وتنتج عادة مواد مشعة صناعيا خلال عملية التفاعل حيث توضع مواد كيمائية خاملة على ابعاد مختلفة من التفاعل . وهكذا تخضع تلك المواد للتفجيرات العنيفة من النيوترونات المتطايرة ، فتتحول الى مواد مشعة ، ويتحول الكوبلت الى كوبلت مشع ، والنيتروجين الى كربون مشع ،

والكلورين الى نظير مشع من الكبريت ... الخ . وهكذا يمكن الحصول على مواد مشعة كثيرة فى جدول منديليف .

العين المشعة ..

تفتح الذرة المشعة آفاقا شاسعة فى ادارة اوتومية لعملية الانتاج . وقد سبق أن استعملت الاشعة السينية فى الكشف عن تركيب المعادن ، ولكنها لا تصلح فى الاحجام الكثيفة ، فهى لا تمر الا خلال ثلاثة سنتيمترات من المعدن ، بينما النظائر من الكوبلت المشع (٦٠) يمكن أن «ترى» خلال مايزيد على ثلاثين سنتيمترا .

وتعمل هذه الطريقة بوضع الجزء المختبر من المعدن بين مصدر الاشعاع وفيلم مصور حيث يكشف عن الشروخ أو الفجوات داخل المعدن ، وعن أى تغير فى سمكه حتى ولو كان بسيطا جدا . وهى طريقة سريعة تصلح فى الصناعة مباشرة . لهذا فهى تطبق فى الاتحاد السوفيتى فى قياس صلاحية الكبارى والسفن وانابيب البترول وغيرها . والاشعاعات تقيس ايضا السوائل مهما كانت حتى الصلب المنصهر . فعندما يتوقف الجهاز فجأة يعرف مباشرة أن السائل المنصهر قد اقفل طريق الاشعة الآتية من مصدر الاشعاع . ان استعمال القياس الاشعاعى له ميزات كثيرة ، فهو الى جانب السرعة التى يمكن أن يعمل بها فانه يعطى قياسا يعمل فى دقته على بيان الفرق فى الابعاد حتى واحد على المليون من المتر . هذا وتستعمل الطاقة الذرية فى منع الحوادث . ومثال ذلك مطبعة كبيرة عالية السرعة جدا تعمل فى حركات تقع فى أقل من الثانية حيث تدفع ورقة بيضاء وتؤخذ الاخرى المطبوعة . تصور أن عاملا وضع يده فى المنطقة الخطرة حيث تسقط المطبعة الثقيلة . انك ستتوقع حادثا بلا شك ... لا ... ان الجهاز كله يقف بوساطة المادة المشعة .

وهناك تطبيقات متعددة أخرى للنظائر المشعة . مثل قياس المناطق المستهلكة فى بطانة فرن ، وهذا القياس يتم دون وقف العمل بالفرن فى الوقت الذى يستطيع فيه جهاز الاشعاع أن يقف فى الوقت المناسب العمل فى الفرن .

وينتج الاتحاد السوفيتى كميات متزايدة سنويا من زيت البترول والكيروسين والسوائل الاخرى التى تمر خلال الانابيب الى مسافات بعيدة . وهنا تطلق أشعة جاما عند بداية الانابيب وتتلقى عند آخرها حيث تعطى الاشارة بوجود أى خلل فى الطريق .

ومن الاستعمالات المثيرة للنظائر المشعة قياس مساحة الاشكال ، حيث تحدد فى ثوان مساحة أدق الاشكال . اذ يوضع نموذج من الورق للشكل المطلوب قياسه على شبكة بين مصدر أشعة الفا من ناحية وحجرة قياس كثافة الاشعاع ، وتتصل الحجرة بابرة تحدد مساحة الشكل وما دام لا يوجد شىء بين الأشعة وتلك الحجرة ، فان الابرة تظل عند الصفر .

النظائر المشعة والابحاث الجيولوجية

اصبح هناك تطبيق هام جدا للنظائر المشعة فى مستودعات البترول . ويتم الكشف عن البترول بالطريقة التالية : يدلى الى البئر مصور لنيترونات سريعة وآلة قياس اشعة جاما . فتمر النيوترونات خلال الصخور المحيطة حيث تبطىء من سرعتها ذرات الصخور ، وهناك تنتج اشعة جاما . وهنا يمكن تحديد نوع الصخور من سرعة انطلاق الاشعة . وقد وجد أن الصخور التى تحتوى على زيت البترول تبطىء انطلاق النيوترونات . وهذه الطريقة تستعمل أيضا فى قياس الطبقة الصخرية بين الماء والزيت ، وهى تحدد أيضا مناطق وعرض طبقة الفحم . وقد وفرت تلك الطريقة نصف الوقت فى الابحاث القديمة .

الذرة المقتفية فى الصناعة

امكن بوساطة الذرة المقتفية أخذ صورة واضحة عن وضع ذرات عنصر معين داخل سبيكة ما . فتوضع ذرات من نظائر العنصر المطلوب معرفة وضعه فى السبيكة ، ثم تظهر على ورقة التصوير المعلومات المطلوبة . وهذه الطريقة وحدها مكنت من معرفة تركيب المعادن والسبائك ، ونسبة المواد الشائبة فيها . بل مكنت أيضا من قياس هذا فى داخل الفرن أثناء صهر تلك المعادن .

حكاية إنسان

للشاعر : فتوح احمد

السواقى دموعها رقراقه ، كيف لم تطفىء الدموع احتراقه ؟!
وانين القابوت خفقة ناى ، كيف يا ليل حركت اعماقه
كيف جالت فى صدره وتمطت لعنة اطلقت من القيد ساقه ؟
فانثنى .. صدره العريض الى الارض ، وغنى .. فرددت اشواقه!
كان « عواد » زينة الحي : فتيا ، وجبينا منورا .. وطلاقه
وادعا كالاسي .. ابيا كارض ، لونت من ظلالها احداقه
فى صفاء « البرسيم » خضرة عينيه ، ومن فوقها بهدبيه باقه
وعلى صدره بيادر قمح ، لم تر النور — عمرها — غير طاقه
هى دنياه .. شيخة تعبد الله ، تؤدى فروضه سباقه
يسمع الناس صوتها كل حين ، ودموع من الاسي رقراقه
« يا الهى .. حنن عليه لاجلى ! لم تعد للكفاح — يارب طاقه
هبه بنت الحلال .. هبه صبيا يملأ البيت ، هبه دفء الصداقه
واكفنا نظرة « الحسود » .. دعاء كان يلقى على الدجى اشراقه !
عاش ما عاش قبلة فى فم الحى .. شباب ورقة واناقه
فاحبوه ، ابصروا فيه شيئا ، كم صبا ليلهم .. وياكم شاقه
ابصروا فيه كل شوق التراب الغض للحب .. للرؤى البراقه
ابصروا فيه كل شيء .. فهاموا ، باين كل المحاجر المشتاقه
فاذا لاح هومت دعوات ، واشارت يد ، ورفت صداقه
واذا مامضي تحركت الاعين من خلفه ، تريد عناقه
والصبايا .. ياكم احبت صبايا ، خلف ليل الشباك او خلف طاقه !
كم احبت « عواد » وهو يفدى ، ليس الا الثرى ، والا انطلاقه
كان شيئا من رغبة الريف فى المجهول .. شيئا من ارضنا الخلاقه
وصحا الناس ذات عام .. فجنوا ، اى جوع يا ارض .. اية فاقه ؟!

كيف هنا عايك فاستاسد « الدود » على دربنـــا .. وكيف اطاقه !
ذاك العود بعد عام من الدمع ، حرام أن يهصر « الدود » ســاقه
كف « عواد » هدهدته .. حــرام ان تلذ « الديدان » ، يوما مذاقه
كان « عواد » بين نارين : عار ومرار كلاهمـــــا .. واحـتراقه
كان يشجيه ان يعيش جمادا ، لا انفعال .. لاثورة .. لا حملقه !
كان ينهـــار حين يبصر سوطا ، فوق ضـــلع من الاسي خفاقه
واذا طاف بالحقـــول مشـت في زوايا جبينـه .. اطـراقه،
وتنوح الاحزان في صـــدره العريان .. « تلك الخمـــائل البراقه
سوف يشتف نورها « الدود » .. يوما سيروى من نورها احداقه
كان في نفســه اشتياق الى شيء .. ليـــالي الاسي تثير اشتياقه
رغبة..ان يرى..ويصنع شيئا .. اي شيء..ما عاد للصبر طاقه
عقد العزم .. ثم في ذات يوم ، شـهدت ثورة الصباح انطلاقة !
مات « عواد » .. هكذا تعبد الارض .. ضفافا ، وخضرة ، واناقه
قتلوه من اجل ان يخـــلد الليل ، اذابوا على الثرى اشـــواقه
يذكر النـــاس انه ظل دهرا ، جيفة ترهب الدجى وانطبـــاقه
جيفة بالعراء .. لو كان كف من تراب .. لو عشـبة في باقه !
« الاله الصـغير » حرم حتى ان ترى وطاة الـــثرى واختنـــاقه
حرموها من كل شيء .. وكانت كل شيء في ارضـــنا الخلاقه
ان رماك الحنين فامرر على « اتحى » .. وشاقه ياصاحبي آفاقه
وتخشـــع امام قبر صـــغير ، عقد العشـــب والتراب نطاقه
وانحنت « ســدرة » عليه ، والقى كل غصـــن من فوقه اوراقه
فاذا جئتــه .. بربك ارســل دمعة للتراب .. حاول عنـــاقه
وتشمم هنـــاك رائحة النار ، فللنـــار في التراب انبثــاقه
واذا ما رايت شـــبه بقايا من دماء .. فوق الجدار مراقه
فترفق .. فخلفهـــا بعض حر ، لم تر النـــور عينه غـير طاقه
« شيخة » طول عمـرها تعبد الله .. تؤدي فروضـــه ســباقه
يسمع النـاس صـــوتها كل حين ، ودموع من الاسي .. رقراقه
هبـــه بنت الحلال .. هبه صبيا يملأ البيت ، هبــه دفء الصداقه
واكفنا نظرة الحسود .. دعاء نحو باب السماء ضـــل انطلاقه
قتلوه .. من اجل ان يخلد الليل .. اذابوا على الثرى اشــواقه
جيفة بالعـــراء .. لو كان كف من تراب .. لو عشـبة في باقه !
حرموها من كل شيء .. وكانت كل شيء في ارضنـــا الخـــلاقه

ملابس العيد

بقلم عوض الشني

دفع الباب العتيق دفعة تنم عن كره له ثم رده فى ضيق فاحدث صوتا ازعج زوجه المضجعة على سرير فى فناء الدار المظلم ٠

وكان **مصطفى** انذاك ما زال يتفوه ببقايا كلام بدأ أوله فى الشارع ٠٠ واستمر يقول ما يقول من عبارات غير ذات معنى موزون وهو يقترب من مكان زوجه فى خطوات تبين انه لا يملك زمام نفسه ٠٠ وانحنى عليها يتمم الكلام ٠

ـ وهل هـذه دار لسكنى بشر ٠٠ ظلام دامس وغبار ورائحة حوائط نتنة ٠٠

كانت زوجه تعلم ان طبعه يصير هكذا عندما يكون فى حالة سكر ، فهو فى حالات سكره يصير فيلسوفا متناقض الأفكار ٠٠ ينقد الحياة ويتغنى بجمالها يضحك لزوجه أو يغضب عليها ٠ فلم تبد اهتماما لما قال ولم تتحرك من رقدتها ٠ فقال بينما كان يعاود الانحناء عليها ٠

ـ ها هى ملابس العيد ٠ ليفرح أبنائى بها وماذا فى هذه الدنيا غير الفرح ؟؟

ثم سكت برهة وعاد يقول ٠

ـ ولكن تحدثى الى ٠٠٠ هل من سبب يوجب أن تنجبى لنا ستة ؟

***

ولم تؤثر الكلمات الأخيرة فى هدوئها فاستقام مصطفى فى وقفته وسار الى سريره الذى يتوسط أسرة **أبنائه الخمسة** وتهالك عليه وكان يحتفظ بملابس أبنائه تحت ابطه ٠ قال وهو يبحث عن علبة كبريت ليشعل سيجارة ابتاعها من البقال القريب أثناء عودته

ـ آه منكن يا نساء ٠٠ انكن لا تجلبن للدنيا سوى المتاعب للرجال ٠

وحتى هذا الكلام لم يثر فى الزوجة شعورا بالغضب أو الاستياء ٠٠ ولكنها نهضت من رقدتها بعدما سمعت زوجها يقول بلسان معوج متهكما ٠

ـ نريد هذا ٠٠ نريد ذاك ٠٠ ملابس لزيد ٠٠ حذاء لعمر ٠٠ دهان شعر لهذه وتلك ٠٠ كل أيامنا هكذا ٠٠ لا راحة البتة ٠٠ لا ترفيه عن النفس ٠٠ لا ٠٠

وقاطعته فى هدوء قائلة :

ـ الا يكفى ما بنا لتزيدنا بغضا لحياتنا ؟

انفعل لعباراتها فقال فى هدوء :

ـ معك الحق فى قولك ٠٠ فهذه ليست حياة ، التى نعيشها ، كلها عذاب لأنفسنا نحن الذين نعمل لنأت بما نسد به أفواه أبنائنا ٠٠ حياة مظلمة بلا رفاهية ٠٠ وحتى الترفيه الذى نعرفه ونملك الوسيلة اليه تعقبه متاعب جمة ٠

وتنبه الى انه لم يشعل سيجارته بعد ٠٠ فاستعاد البحث عن علبة الكبريت ٠٠ ولما لم يعثر عليها سأل زوجه :

ـ هل لديك علبة ثقاب اشعل سيجارتى ؟

فقالت بصوتها الهادىء :

ـ الا تخجل لنفسك ٠٠ هل تأتيك رغبة للسكر أو التدخين وابناؤك على وشك أن يستقبلوا العيد وهم حفاة ؟

واستفزته الكلمات والحقيقة فالقى فى غيظ بالملابس التى كان يحتفظ بها تحت ابطه على مقعد صغير كان بين سريره وسرير زوجه وقال :

ـ وما هذه ؟ ٠٠ اليست هى للعيد ايتها الثرثارة ٠٠ حقا ما قيل من انكن لا تحملن من العقل الا القدر القليل ٠

***

وادركت ان مجاراته فى الحديث والمناقشة ستقودها الى فقد هدوئها ، وقد تجلب لها متاعب أخرى

كثيرة أقلها أن يستمر في الكلام فلا تجد من يسكته لتنام حتى تريح جسدها من عناء خدمة اليوم من طبخ وغسل وخدمة بيتهـــا وابنائها ٠٠ ولزمت الصمت وعادت تحتضن وليدها ٠

ولما اعيـــاه الكلام دون أن يجد ردا منهـــا عاد يسألها :

ـ الا تعلمين حقا اين أجد علبة الكبريت ؟

عندئذ ردت عليه بفتور :

ـ تجدها على منضدة الاوانى ٠

ـ أى منضدة ؟

ـ كم منضدة للأوانى داخل الحجرة ؟

وقام مصـــطفى فشـــعر بدوار عظيم كاد يفقده توازنه ويقع أرضا ولكنه اعتمد على حائط قريب من مكانه فاتكأ عليه واراد أن يتحرك يتابع سـيره الى الداخل غير انه ادرك اسـتحالة ذلك وهو على حاله تلك ، فجلس على سريره من جديد وقال لزوجه فى لهجة حسنة :

ـ تفضلى باحضارهـــا ارجوك اذ يبدو اننى لن استطيع ذلك ٠

فنهضت الزوجة متكاسلة واختفت داخل الحجرة المظلمة ثم عادت بعد حين لتمد له يدها بعلبة الثقاب وتذهب لترقد على سريرها موليا‌ه ظهرها ٠

واستلقى مصطفى هو الآخر على قفاه وسكت عن الكلام ٠٠ لا حـركة فى الدار الا الحـركة التى كان يحدثها بمحاولته اخراج عود الثقاب من علبته ٠٠ وليس فى الدار ضوء الا ضوء عود الثقـاب الذى أشعله وأبقاه مشتعلا فترة قصـيرة بعد أن قضى حاجته به ثم القاه على الأرض ٠

وفجاة أضـــاء المكان نور ظن مصطفى فى بادىء الأمر ان زوجه أوقدت النـار فى الفحم كما تفعل كثيرا ولكنه سمعها تصيح منزعجة :

ـ النار ٠٠ ملابس الأولاد ٠٠ النار يامصطفى ٠

وحينما أدار راسه اليها كانت النار تملكت ملابس أطفاله تلتهمها فى غير رحمة وكان مافيها قماش من النايلون ساعد على سرعة الاشتعال ٠

***

جلس مصطفى على سريره وأخذ يرقب زوجـه وهى تحاول جاهدة أن تخلص بعض ملابس أطفالها من قبضة النار ولكنهـــا فشلت تماما فاستسلمت للواقع ووقفت تنظر اليهـــا فى حسرة بالغة والنار تأتى على ما بقى منها ٠ أما مصـطفى فلم يدر ماذا يفعل أو ماذا يقول الا أن يتساءل أخيرا فى حيرة :

ـ ما معنى كل هذا ؟

هذه الآفاق الضيقة

بقلم محمد عبد الله السمان

قدر لى فى ظهر الجمعة الماضى أن استمع الى خطيب الجمعة زهاء ساعة من الزمن ، ولم أكن أتوقع أن تزيد الخطبة على دقائق معدودة ، فقد شاهدت الخطيب شيخا تخطى الحلقة السادسة من عمره ، فاحسنت الظن بشيخوخته ، وقلت لنفسى : لعل سن الشيخ لا تمكنه من قدرة الشباب على الاطالة ، فيلتزم فى منهجه الحكمة القائلة : « خير الكلام ما قل ودل » أو يأخذ بحكمة الرسول القائلة : « ان من فقه الرجل قصر الخطبة وطول الصلاة » وها هو ذا يرى بعينى رأسه أن نصف المصلين أو أكثر خارج المسجد ، يفترش كل منهم احدى الصحف اليومية التى يؤجرها الباعة فى مثل هذه الساعة من كل أسبوع لقاء نصف قرش للواحدة ، وأن هؤلاء المصلين على قارعة الطريق يصطلون بحر الشمس ، ويوشكون أن يشلوا حركة المرور فى الشارع .

ألمع الخطيب فى تمهيده لخطبته الى ذكرى مولد الرسول ، هذه الذكرى التى يجب ألا تشغلنا الأحداث مهما كانت عن تحيتها التحية اللائقة بمكانة الرسول ، وقلت : حسنا أجاد الخطيب اختيار الموضوع ، ولعل الله يوفقه الى تناول جانب واحد من جوانب عظمة الرسول فى مجال الأخلاق والتربية والتوجيه ، فما أحوج المسلمين اليوم الى أن يتأسوا بسيرته ، وأن يكون لهم فى هديه أسوة حسنة ، وما أغنى الرسول نفسه عن أن تكون حفاوة المسلمين بذكرى مولده غلوا فى شخصه بألوان من التقديس وهم حرب على مبادئه ومثله ، وافراطا فى فرحة وهم أشد ما يكونون تفريطا فى الاقتداء بأخلاقه وشمائله .

ولكن خطيبنا ـ سامحه الله وغفر له ـ لم يطرق الجانب الخلقى فى شخصية الرسول ، ولا الجانب الانسانى فى حياته ، بل جعل كل همه أن يحصر عظمته فى الآيات الخارقة التى قيل افتراء أنها اكتنفت حياته ـ صلوات الله عليه ـ منذ أن تزوج أبوه بأمه ، الى أن لقى ربه عز وجل ، وكان أن أخذ الخطيب المفوه فى ألفاظ مسجوعة يقص علينا طرفا من هذه الآيات مما سجلته كتب السيرة من أفواه القصاصين .

فحين حملت به أمه أتتها الملائكة وقالت لها : انك حملت بسيد هذه الأمة ، فاذا وقع على الأرض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمدا ، **ورأت** حين حملت به أيضا أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ، **أما** فى يوم مولده ، فقد ارتج ايوان كسرى وتساقطت شرفاته ، وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، كما غاضت بحيرة طبرية ، **أما هو** ـ صلوات الله عليه ـ فقد ولد مختونا مكحولا مشيرا بابهامه الى السماء .

ورآه بحيرة الراهب بالشام وهو غلام فى تجارة مع عمه أبى طالب ، وغمامة تظلله أينما سار من بين القوم ، وأغصان شجرة تتدلى عليه لتظلله حين هم بالجلوس تحتها ، **وهكذا** انطلق الخطيب المدره يقص علينا تسبيح الحصى بين يديه وتسليم الأشجار عليه واطاعتها له ، وحنين الجذع اليه ، وكلام الظبى والضب معه ، وسجود البهائم له ، وتأمين جدران البيت على دعائه ، وكيف أنه **فى غزوة بدر** دفع الى عكاشة بن محصن ـ بعد أن فقد سيفه ـ عودا من الحطب وقال له : قاتل بهذا ، فعاد فى يده سيفا شديد المتن ، فقاتل به وقتل ، ولم يزل يشهد به المشاهد الى أيام حروب الردة ، **وفى غزوة** أحد ـ رد عين قتادة بن النعمان حين اقتلعت وحملها فى كفه وذهب بها الى الرسول ، فكانت أصح عينيه وأحدهما ، وكيف أنه صلوات الله عليه ـ أحيا شاة جابر بن عبد الله بعد ذبحها ، كما أحيا لامرأة من الأنصار ابنها بعد أن فارقته الحياة ، وكيف أنه حين فاتت عليا كرم الله وجهه صلاة العصر دعا الله أن يرد الشمس عليه ، فرؤيت الشمس تغرب ثم رؤيت تطلع بعد غروبها حتى تمكن من تأدية صلاة العصر فى وقتها .

على هذا المنوال استطاع خطيبنا أن يجعل من الرسول أسطورة تصلح لأن تكون مادة طيعة لقصص من ابتكار الخيال الخصب وحده ، ولا أظن أن لمثل هذا الخطيب عذرا ، اذ كان مرجعه بعض كتب موروثة لم تزل لها القداسة عندنا ، والنفوذ فى تفكيرنا ، فالامام الذى وكل اليه أن يوجه

الناس يجب أن يكون له تفكير مستقل ، وعقل ناضج يزن به الأمور وهو يتحدث عن رسول الله الذي انشأ امة على الحق ، وأقام دولة على العدل ، وشاد نظاما للمجتمع استوعب أرفع القيم ، وأعظم المثل وأخلد المبادىء . بعد أن أحدث ثورة في العقول ، فخلصها من رواسب الوثنية وأساطير الجاهلية الجهلاء .

ثم ان هذه الكتب الموروثة من وضع اناس لم تثبت لهم العصمة فيما استوعبوا في مؤلفاتهم من أنباء ، وفيما حشوها من روايات ، ومن حق كل مفكر أن يقبل منها ويرفض ، ويأخذ ويرد ، وسنده كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة .

هذا القرآن يقول لنا : **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل** ، ويقول على لسان الرسول نفسه : **سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا** ، ولو ثبت شيء من هذا لألمح القرآن اليه ، كما ألمح الى كثير من الخوارق التي اكتنفت حياة الرسل ومنهم عيسى عليه السلام .

ان شغف بعض المؤلفين المسلمين القدامى بالأساطير المنسوجة حول حياة الرسول ، يحتم علينا أن نقف عند هذه الكتب طويلا ، **والعجيب** ان كتب السيرة على اختلافها لم تبرأ من بعض هذه الأساطير ، وعلى رأسها سير : الطبري وابن هشام والمقريزي .

لقد تصفحت منذ أيام كتاب « **دلائل النبوة** » لأبي نعيم الأصفهاني مؤلف « **حلية الأولياء** » فهالني أن أبا نعيم ـ غفر الله له ـ قد حشا كتابه بمئات الأساطير التي تؤرخ حياة الرسول : **فالجن** أعلنت على ملأ من الناس قرب مولد الرسول ، وسيف بن ذي يزن حين ظفر بالحبشة وظهر على اليمن ، وذهبت الوفود العربية اليه لتهنئه ، وكان عبد المطلب جد الرسول على رأس وفد قريش ، أسر سيف في أذنه بظهور نبي آخر الزمان قائلا له : اذا ولد بتهامة غلام به علامة ، وبين كتفيه شامة ، كانت له الامامة ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة ، **وقالت** كاهنة له : ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ، ويدين له الناس ، **وهناك** امرأة تدعى ليلى العدوية ، رأت نور النبوة في وجه عبد الله والد الرسول ، فأرادته لنفسها وطلبت منه أن يتزوجها لقاء مائة بعير ، فأبى ، وتزوج آمنة وبعد أن دخل بها قالت له : لقد دخلت بنور ما خرجت به ، ولئن كنت ألممت بآمنة بنت وهب لتلدن ملكا ..

هذا طرف يسير مما في كتاب أبي نعيم الذي قال عنه الذهبي في التذكرة : أجاز له مشائخ الدنيا بأسرها ، وقال الخطيب البغدادي فيه : لم ار أحدا أطلق عليه اسم الحافظ غير أبي نعيم ، وأبي حازم العبدوي .

وبعد ..

فان سيرة الرسول أجل من أن تخضع لهذه الأساطير ، والذين تضيق آفاقهم ، فلا يقفون على جوانب أسرار عظمة الرسول من أخلاقه ، ومن سلوكه مع اصحابه وغير اصحابه ، يلجأون الى كتب السيرة المهلهلة ليلتقطوا منها هذه السفاسف ليستشهدوا بها على عظمة الرسول ، ولست ادري كيف يستسيغ مسلم عاقل ان ام أيمن شربت من بول الرسول فقال لها : لن يشتكي بطنك الوجع أبدا ، وأنه كان يتفل في فم المريض فيشفى من مرضه ، وأنه حين كان يتبول أو يتغوط تنشق الأرض فتبتلع ما نزل منه حتى لا تفوح رائحة كريهة .

قد تثور بعض الفقاقيع لمثل هذا القول ، وهذه الفقاقيع من محترفي التدين الدخيل يهيأ لها أنها في دفاع شرعي عن الرسول فتتطاول بألسنتها في فحش وبذاءة ، ولو تدبروا القرآن جيدا لأيقنوا أن حسب الرسول أن يكون القرآن معجزته الخالدة ما خلدت السماء والأرض ، وأن كل هذه الأساطير تسيء الى شخصية الرسول في ذكرى مولده ، هذه الذكرى التي يصر كثير من محترفي التدين على أن يشوهوها ..

التقاء فاسكو دى جاما بأحمد بن ماجد

تأليف شوموفسكى

ترجمة منير مرسى

عندما استطاعت رحلة **فاسكو دى جاما** الوصول الى ما بعد رأس الرجاء الصالح ، وانفتح أمام ناظر الأوربيين محيط جديد ، لم يخاطر أمير البحر بالابحار فى المحيط الذى لا يحده شاطىء ، بل اتجه بحذاء الشاطىء الشرقى لافريقيا ، وتوقف فى « مالندى » حيث شغل بالبحث عن ملاح من هذه المنطقة . وكان ملك مالندى يشعر نحو الاجانب الغرباء بشعور طيب وعلى الفور أشار عليه بابن ماجد .ودعا دى جاما الملاح المشهور الى سفينة القيادة الضخمة . ولنعط الكلمة **لباروش** المؤرخ البرتغالى فى القرن السادس عشر :

« فى اثناء وجود فاسكو دى جاما فى مالندى كان معه جماعة من الهنود توجهوا الى أمير البحر على ظهر السفينة ، وكان يوجد أحد البربر من « الجوزرات » يدعى « ماليمو كانا » . وللتمتع بحديث مواطنينا ولارضاء ملك مالندى الذى كان يبحث عن ملاح للبرتغاليين ، قبل ابن ماجد أن يتوجه معهم الى السفينة . ورضى دى جاما كل الرضا عن معلوماته بعد التحدث معه وخصوصا بعد أن عرض عليه الاعرابى خريطة لكل الشواطىء الهندية مرسومة كما هو عند العرب عامة بخطوط الطول والعرض وفى غاية الوضوح ولكن بدون الاشارة الى الرياح بين خطوط العرض وذلك لأن مربعات خطوط الطول والعرض كانت فى منتهى الصغر . واتضح أن الخريطة فى منتهى الدقة . وأرى دى جاما هذا العربى « أسطرلابا » كبيرا من الخشب كان قد أحضره معه ، وكذلك أسطرلابات معدنية أخرى لقياس ارتفاع الشمس والنجوم . وعند رؤية هذه الاجهزة لم يظهر الاعرابى أى اندهاش أو استغراب بل قال ان الملاحين العرب فى البحر الاحمر يستخدمون أجهزة مثلثة ومربعة الشكل لقياس ارتفاع الشمس وخصوصا النجم القطبى وأضاف الاعرابى انه نفسه وغيره من الملاحين يبحرون من « كمباية » ومن كل اتجاه الهند ويستعينون ببعض النجوم الشمالية والجنوبية الى جانب النجوم الواقعة فى منتصف السماء والشرقية والغربية منها . ولهذا فهم لا يستخدمون الاسطرلاب انما يستخدمون أجهزة أخرى عرضها . وهى تكون من ثلاثة ألواح ولها الهدف نفسه لدى ملاحينا .وبعد هذا الحديث مع الملاح حصل دى جاما على انطباعات هى أنه وجد فى ابن ماجد ثروة كبيرة. وحتى لا يفقده أمر على الفور بالابحار الى الهند . وفى ٢٤ ابريل اتجه فى الطريق . ووصل دى جاما الى كاليكوت فى ٢٠ مايو من العام نفسه أى فى أقل من شهر . وأرسل « ماليمو كانا » الى اليابسة ليبلغ ملك البلاد بوصول البعثة البرتغالية .

وتوجه الملاح العربى من كاليكوت الى كابوكات حيث يقيم أعرابى يعرف باسم « **أبى سعيد** » وهو الشخص المسئول عن أعمال التجارة . واليكم دليلا من مذكرات « جويش » :

« أعطى ملك مالندى فاسكو دى جاما ملاحا ماهرا هو أعرابى من الجوزرات يعرف باسم « ماليموكانا » .

وفى النهاية نورد دليل كاشتانيدى :

« وصل فاسكو دى جاما الى مالندى فى ١٥ مارس سنة ١٤٩٨ وفى ٢٢ ابريل أرسل اليه ملك مالندى ملاحا من الجوزرات يدعى « كاناكا » وفى ٢٤ ابريل أبحر معه دى جاما الى كاليكوت . وفى ٢٤ ابريل سنة ١٤٩٨ قاد ابن ماجد سفينة فاسكو دى جاما

متجها الى الشرق • وبعد شهر .. اى فى ٢٠ مايو وصلت الحملة بسلام الى كاليكوت على الضفة الغربية للهند • ولأول مرة فى التاريخ البشرى ، وبفضل أستاذية الملاح العربى فى فنه تمهد الطريق البحرى من أوربا الى ثروات الشرق الأوسط التى كان الغرب يتحرق شوقا اليها • وقد اعطى « كاموئنس » شهرة كبيرة لابن ماجد بما ردده من مدح كبير له حيث يقول :

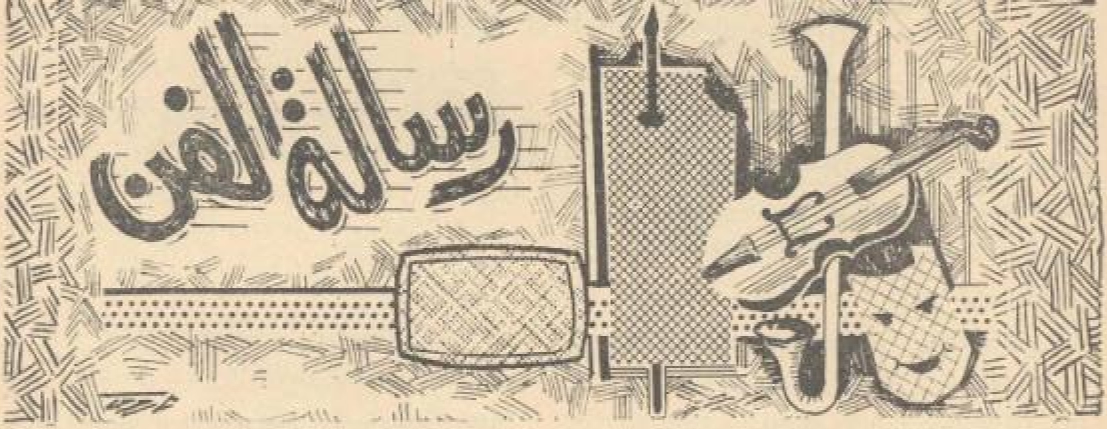
« هو قائد وموجه للسفينة ، لم يكن فيه شيء من الكذب ، فقد كان يبحر الى الامام متجها فى الطريق البحرى الصحيح ، وأصبح هذا الطريق يجتاز بثقة كبيرة عما كان من قبل » •

وكان لهذا الحدث تأثير مضاد على الشرق فبعدها قاست شعوب المحيط الهندى من ويلات القراصنة والمختلسين والمستغلين ذوى المآرب الهادفة الى الغنى عن طريق الثروة الموجودة على اليابسة • وكل هذا مصحوب بارساء قواعد السيطرة البرتغالية » •

ومن خلال كتابات كاتب القرن ١٦ قطب الدين النهر والى فى ملاحمه البطولية تظهر كراهية واضحة للمستبدين الأجانب ، وتحسر وألم على ابن وطنه الذى اراهم الطريق الى جواهر الشرق » •

والمخطوط (١٦٥٠ ص ٥) الباب الثانى يوضح انتقال السلطة فى اليمن من آل طاهر الى الامير الشركسى حسين • ففى بداية القرن العاشر الهجرى ووسط الاحداث القاسية حدث قدوم شياطين برتغالية خبيثة من قبائل الفرنجة الملعونة الى أرض الهند • ورحلت مجموعتهم على السفن من خليج « سبوتى » الى البحر • وخرجوا الى بحر الظلمات تاركين خلفهم مدينة القمر ، حيث يبدأ نهر النيل ، وتاهوا فى اتجاه الشرق • ووجدوا أنفسهم غير بعيدين عن الشاطىء فى خليج ضيق على احدى جهتيه جبال وفى الجهة الاخرى بحر الظلمات • وفى هذا المكان كانت هناك أمواج هائلة ولم تستطع سفنهم الاقتراب منه بل تحطمت ، ولم ينج منهم أحد • واستمروا بعناد فى محاولة الوصول الى هذا المكان حيث كانوا يهلكون • ولم يستطع أحدهم الخروج الى البحر الهندى حتى استطاعت احدى السفن من النفوذ الى هناك • وكانوا يحاولون جاهدين جمع معلومات عن هذا البحر • وأخيرا أراهم الطريق ملاح محنك يدعى « **ابن ماجد** » ، واستطاع قائد الفرنجة المسمى بالأميلاندى أن يكون معه علاقة قريبة على مائدة الخمر وأراه الملاح الطريق وهو فى حالة « سكر » ، وترتب على هذه السكرة أن تدعمت سفن كثيرة من سفنهم وأمكنها أن تتردد على المحيط الهندى واستطاعوا أن يبنوا فى « جوا » قلعة تسمى «قوط» ومعناها باللغة الهندية القديمة « تحصين » او « تقوية » • وبعدها احتلوا خوارزم وهناك ثبتوا مركزهم وحصلوا على تعزيز من البرتغال • ومن هنا أخذوا يقطعون الطريق على المسلمين بالنهب والاسر واغتصاب سفنهم • وفى نهاية النهاية عم التضييق من جهتهم على كل المسافرين • ولم يطق المسلمون اعتداءاتهم • وعندئذ توجه مظفر شاه ابن محمود شاه بن محمد شاه سلطان الجوزرات الى السلطان أشرف يطلب منه المساعدة ضد الفرنجة •

ويتبين من تحليل مخطوط لينتجراد أن جزءا كبيرا من أرجوزته يتشابه ويقترب من هذه الصورة من حيث نغمات تصويرها للمستبد البرتغالى • وهذه التصويرات غير موجودة فى أعمال أخرى لابن ماجد وتفيض بتصوير عذاب الرجل المضحوك عليه ، وبالحسرة والندم على ما أقدم عليه ، وبالفكرة السيئة عند البرتغاليين •



اتجاهات جديدة

في المسرح والسينما..

بقلم: عبد الفتاح البارودي

سمعت في الاسكندرية اهم خبر سينمائي في تاريخ السينما العربية ... انه حدث فني سيكون نقطة تحول في تفكيرنا السينمائي .. كيف ؟

وفي الاسكندرية رايت فيلما اجنبيا أحدث ضجة ضخمة ... فيه مشاهد مثيرة ولكنه مع ذلك يعالج – أو على الأقل يكشف – مساوىء المجتمع الأوربي الذي يشعر فيه الفرد ، والمرأة بصفة خاصة ، بالضياع ... والفيلم رغم كل عيوبه يعتبر درسا للسينمائيين عندنا في كيفية تناول المشكلات الواقعية تناولا فنيا ، فهل ينتفع السينمائيون بهذا الدرس المثير ؟!

وفي الاسكندرية شاهدت مسرحية لمؤلف جديد يؤكد اتجاه المسرح الحديث نحو وضع المسرح في وضعه الحقيقي ، اى في خدمة المجتمع ... ولكن في هذه المسرحية عيوب تعتبر من العيوب المشتركة في المؤلفات الحديثة ، فما هي هذه العيوب ، وكيف نعالجها ؟!

أولا : ان الخبر السينمائي الهام هو اجتماع « الهيئة السينمائية العربية المشتركة » التي تضم خبراء سينمائيين واخصائيين اقتصاديين من جميع الدول العربية ، وذلك لوضع القانون الاساسي للهيئة ، وتحديد حصص مساهمة الحكومات العربية، والاسهم التي تطرح للاكتتاب الشعبي ، بقصد انتاج افلام عربية عالمية ، للدعوة للقضية العربية ..وكان الدكتور **عبد القادر حاتم** قد طلب الى مؤتمر وزراء الاعلام العرب اعتماد مليونين من الجنيهات لهذا الغرض .

اظن أن أهمية هذا المشروع لا تحتاج الى شرح.. يكفي أنه سيرفع مستوى السينما بحيث تساهم في خدمة القضية العربية.. ولكن هل يمكن أن يتحقق ذلك اذا ظل تفكير السينمائيين عندنا كما هو ؟! أيام زمان كانت السينما تجارة وتسلية ، وكان الذين يسيطرون على الحقل السينمائي أفراد من الرأسماليين والاستغلاليين والانتهازيين ، وكانت كل جهودهم وأهدافهم مركزة في « شباك التذاكر » ، ولهذا كان أصدق ما توصف به السينما أنها «سيما اونطة» ... أما الآن فان مجرد انشاء القطاع العام يعتبر انقاذا للحقل السينمائي من الاحتكار والاستغلال ، وتمهيدا لوضع الافلام في وضعها الفني ، ولكن لا بد من أن ينضج التفكير السينمائي لتوضع المرحلة الجديدة موضع التنفيذ ... لايكفي التخلص من الاحتكار والاستغلال لانتاج أفلام المرحلة الجديدة ... ان انتاج أى فيلم يحتاج الى خبرة بالتكنيك السينمائي والى دراية بوظيفة السينما ، وهذا هو ما يواجهنا به المشروع الجديد ... اننا نلمس الجهود الضخمة التي تبذل للدعاية ضدنا بالسينما ... ان أعداء العرب يجندون كل خبراتهم وطاقاتهم الفنية لانتاج أفلام عالمية تحمل سموم دعاياتهم ... ان وكالات الأنباء تردد في برقياتها

أن صوفيا لورين ومجموعة من النجوم العالميين يشتركون في هذه الأفلام لتغزو أسواق العالم .. فماذا فعلناه لمكافحة هذه السموم ؟! من هنا تبدو أهمية انتاج أفلام عربية عالمية للدعوة للقضية العربية ، ومن هنا تبدو ضرورة الاستعداد لانتاج هذه الأفلام بالأموال وبالطاقات الفنية ... هذه مسئولية يجب أن يرتفع السينمائيون عندنا الى مستواها ... ان هذا المشروع يستلزم الاحساس الواعي بهذه المسئولية ، ويستلزم المعرفة العميقة بوظيفة السينما وامكانياتها وأثرها ومدى ارتباطها بالواقع وبالمجتمع ، ويستلزم الاخلاص في التحضير والتنفيذ . ومرة أخرى ماذا سيفعله السينمائيون؟!

اعتقد أن من واجب الهيئات السينمائية أن تعاون « الهيئة السينمائية العربية المشتركة » معاونات فعالة ، عن طريق عقد اجتماعات يشترك فيها المفكرون والفنانون الدارسون لمناقشة وسائل تنفيذ هذا المشروع ، وتقديم اقتراحاتهم للهيئة ، بحيث تكون اقتراحات مدروسة وعملية ... ومن واجب البرامج الثقافية والفنية في الاذاعة والتليفزيون أيضا أن تقيم ندوات جادة لنفس الغرض .

ان هذا المشروع من أخطر الاحداث الفنية في تاريخ السينما العربية ، ونجاحه سيعمق مفهوماتنا السينمائية ويرفع أفلامنا الى المستوى العالمي .

ننتقل من السينما الى المسرح ... ان من أهم مسرحيات هذا الاسبوع مسرحية **(بيت الفنانين)** التي عرضها المسرح التليفزيوني الحديث لأول مرة على مسرح « كوتة » بالاسكندرية ... ان مؤلفها **أحمد عثمان** يظهر انتاجه على المسرح لأول مرة ، ولا جدال في أن ميلاد مؤلف مسرحي جديد يعتبر ظاهرة تستحق الاهتمام ... لقد كانت مسارحنا في الماضي موصدة الابواب في وجوه المؤلفين الناشئين بدليل أن أضخم مشكلات مسرحنا كانت هي مشكلة المؤلف ، حتى لقد كنا نعتقد أن ميلاد المؤلف الجديد عملية في غاية الصعوبة ، ومن أجل ذلك كانت مسارحنا تلجأ الى الترجمة والاقتباس والتعريب والتمصير .. الخ ... بل اننا في خلال أكثر من ثمانين سنة مارسنا فيها المسرح لم يظهر بيننا من المؤلفين أكثر من بضعة أفراد .. وكان هذا منطقيا، لأن فن المسرح طارىء على بيئتنا ، وحينما نقل الينا لم يكن هذا النقل استجابة لحاجة الجماهير ولا تعبيرا عن وجدانهم ولا بغرض خدمتهم ، بل بالعكس كان هذا النقل نقلا مظهريا لمجرد تقليداوربا تقليدا أعمى ولمجرد تسلية الجمهور تسلية ساذجة .

أما الآن فان مجتمعنا الجديد أدرك أن الفنون أدوات لخدمة المجتمع ، ولهذا بدأ تصحيح كل الاوضاع الفنية ، ونتيجة لذلك بدأ المسرح يتخلص من الاقتباس والتمصير ، وفي خلال السنوات الأخيرة بدأ ميلاد المؤلفين المحليين ، ومنذ أن ظهر المسرح التليفزيوني واحدث هذه اليقظة الفنية الملحوظة جدا تزايد عددهم لدرجة أن فرقة المسرح الحديث وحدها قدمت في هذا الموسم وحده سبعة مؤلفين يكتبون للمسرح لاول مرة ، ومنهم مؤلف رواية « بيت الفنانين » .

ولنفس الاسباب بدأ تصحيح الاتجاه الموضوعي في المسرح ... فبعد أن كانت المسرحيات تقليدا أعمى وتسلية ساذجة بدأ المؤلفون يعالجون موضوعات حيوية من واقعنا ، وهذه الرواية الجديدة تعتبر من الأمثلة الايضاحية .

ان المؤلف يصور فيها مشكلة ثلاثة فنانين ، أحدهم قصاص يكتب قصصه لنفسه وحول نفسه ، والثاني رسام يرسم لوحاته من فتاة (موديل) يستدعيها لينقل على اللوحات ملامحها ، والثالث موسيقار يعزف على البيانو مقطوعات موسيقية منقولة. وهؤلاء الفنانون الثلاثة يعيشون في(بدروم) والرواية ترمز بهذا (البدروم) الى عزلتهم عن الحياة والناس ... انهم يعتقدون ان الفن أرفع من الحياة وفوق مستوى الجماهير ، ولهذا يتشبثون بهذا الارتفاع الذي يتوهمونه ، ويعتبرون أن الارتباط بالناس يهبط بالفن ، ومن اجل ذلك قرروا أن يعيشوا وحدهم مهما تكن النتائج ، فهم لا يتصلون باحد ولا يقرأون الصحف ولا يسمعون الراديو ، ورغم ذلك فانهم يبدون دهشتهم لان الناس لا يتعاملون مع فنونهم ولا يقدرونها ، بل لا يشعرون بها .

اننا نرى فتاة واحدة فقط تبدي اعجابها بلوحات الرسام في زيارة عابرة حدثت مصادفة ، وتبدي رغبتها في شرائها ، ثم نكتشف أن هذه الفتاة من أدعياء الأرستقراطية التي تعجب باللوحات الفنية بلا وعي فني ، بل لمجرد ان التظاهر بالاعجاب الفني عادة من العادات الارستقراطية المزيفة ، وهي في

حقيقتهـــا لا تريد شراء اللوحات بل تريد شراء الرسام !

والفتاة الأخرى (الموديل) بالطبع ليس لها قصد فنى ··· انها تؤجر جمالها فقط ، وعندما تسنح لها فرصة التعارف باحد منتجي السينما يرسو المزاد عليه ، لأن الثمن هنا أضخم ، وهو الشهرة الزائفة والمجد الفنى الكاذب ، ومن أجل ذلك تصارح الرسام بأنها اعتزلت حياة «الموديل» وتحولت الى حياة النجوم ! ·

بهذا الشكل صورت الرواية قطاعا من حياة الفنانين الذين كانوا منعزلين عن الحياة الحقيقية التى يعيشها النـاس ويعيشون فيهـا ، وهى ترمز بذلك الى الحياة الفنية فى الماضى ··· ولكن فى المجتمع الجديد أدرك الفنـانون الثلاثة أن انعزالهم هو سبب نكبتهم ··· والمؤلف كان بارعا فى نقلهم الى المفهومات الجديدة ، فلم ينقلهم بافتعال ، بل استخدم فتاة ثالثة ارتبطت بالموسيقار برابطة الحب، وكانت رمزا فنيا لايقاظه وزميليه ·

ومع أنه تخلص من الافتعال فى هذه النقطة ، الا أنه استخدم الحوار المباشر أحيانا ، وخاصة فى تحاورهم عن ضرورة خروجهم من «البدروم» والاتصال بالناس وبالحياة ·

ان الحوار المباشر من عيوب هذه الرواية ، وهو من العيوب المشتركة فى مؤلفات المؤلفين الجـدد ، وكلها عيوب متـوقعة ، لان انتقـالنا من مسـارح التسلية الى مسارح التناول الفنى يحتاج الى مزيد من الخبرة وممارسة التجارب ، ومع ذلك فان هذا يتم بسرعة ويكون خطوة لتصحيح وتعميق مفهوماتنا الفنية فى مجتمعنا الجديد ·

واخراج هذه الرواية يمثل ظاهرة جديدة أيضا·· ان المخرج كمال حسين يخرج لمسرح التليفزيون لأول مرة أيضا ، وقد برهن على فهم دقيق وحساسية فنية لمعنويات الرواية ، وبرع فى رسم الميزانسين وفى تكييف الاضاءة · ولكن بعض نهايات الفصول بدت متهافتة بعض الشىء ··· والممثلون أيضا أدوا أدوارهم بفهم ، ولكن لم يطوعوا الحوار المبـاشر·· ومهما تكن ملاحظاتنا على الرواية فانها ـ كتجربة جديدة ـ ذات مستوى معقول جدا ، وهى تؤكد أن مسرحنا يتجه نحو معالجة المشكلات الحيوية الجادة ، وبتكرار التجارب سيزداد المسرح قيمة ، ولكن من المهم جدا أن يواصل المؤلفون الجدد دراسة تكنيك المسرح لتحقيق هذه القيمة ·

ننتقل مرة ثانيـة من المسرح الى السـينما ···

الى فيلم أجنبى ·· فيـلم « ايرما الغانيـة » الذى أحدث ضجة فى الاسكندرية ··· لماذا أحدث هذه الضجة ؟ لأنه يصور حيـاة الغانيات فى باريس ، ولهذا فانه يعرض مشاهد مثيرة وخاصة عنـدما يتناول هذه المشاهد بشىء من الصراحة والواقعية·· ومع هـذا فانه من خـلال الاثارة يعبر عن مأسـاة الغانيات ، والغريب أنه يقدم هذه المأساة فى صورة كوميديا !! الفيلم منقول من المسرح ، والمدهش أن « بيلى وايلدر » السيناريست والمخرج استطاع أن يخلق من الرواية المسرحية سيناريو تتتابع فيـه الأحداث تتابعا سينمائيا بارعا ··· هــذا درس للسيناريست عندنا ··· فمن أول « التتر » نرى فى مقـدمة الفيلم صـورة سينمائية لمكان الأحداث ومناخها أيضا ، وصورة كاريكاتورية للحياة الاوربية الحـديثة التى أهدرت ميكانيكيتها القيم البشرية ، وأخضعت التعامل بين الناس لسطوة المال ··· ان احتياج الفتيات الضائعات هو سبب ضياعهن فى الزحام لدرجة أنهن تجمدن فى هذا الضياع ···ان (ايرما الغانية) لا تريد اطلاقا أن تبيع جسدها ، وانما هى مضطرة الى ذلك لتجد لقمة العيش ··· والفيلم الذى وضع هذه المأساة فى صـورة كوميديا لم يتركها تلقى هذه العبارة بتعبير ميلودرامى ، وانما وضع بجانبها كلبا ، وجعلها تقول انها تريد أن تجد لقمة العيش لنفسها ، ولكلبها !! حيلة صغيرة ولكنها أدخلت فى الفيـلم وفى المأسـاة عنصر (الكوميك ريليف) ··· ان هـذا العنصر يتخلل مختلف الأحداث ، وأحيانا يثير الضحك بصوت مرتفع دون أن نفقد احساسنا بالمأساة اطلاقا ·· والجزء الاخير من الفيلم فيه تطويل يبعث الملل لان السيناريست أسرف فى اسـتخدام عنصر التشـويق ، ومع ذلك فان الفيلم كله يجتذب المشاهد الى الشاشة ، ويقدم نموذجا للتناول الفنى ، ولقدرة السينما على كشف الحقائق ، ومع أنه يركز الكاميرا على حقائق مخجلة للمجتمع الأوربى ، فان فيه دعوة للعمل ، ولتطهير ذلك المجتمع من المساوىء التى أدت الى اهدار القيم البشرية ، وهو على كل حال درس للسـينمائيين عندنا فى السيناريو والاخراج ، فهـل ينتفعون بهذا الدرس ؟ !



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوى

ماذا يكتبون .. هناك ؟

لا شك أن كل انسان يرحب بأن تكون الأقلام فى الجمهورية العربية المتحدة من الثراء والجدية بحيث يكون نتاجها مطلوبا فى العالم العربى ، ولكنا حين نفتش عن « الاقلام المهاجرة » نجدها لا تحط الا فى بيروت ، ونجد ـ السرب الذى نتكلم عنه ـ لا يحط الا على الأشجار المشبوهة ، ولا يتحاور الا مع الألسنة التى استحالت الى قطع مرنة من العداء للعرب فى ماضيهم ، والعرب فى حاضرهم ، والعرب فى مستقبلهم وان كانوا يشككون دائما فى أن للعروبة مستقبلا .

فاذا أضفنا الى هذا أن عملية التمويل لهذه المجلات مشبوهة ، وأن مخططاتها ضد العالم العربى ، وأن للصهيونية نفوذا فيها ، على نحو ما قيل فى المنظمة العالمية لحرية الثقافة التى يوجد مقرها الرئيسى فى فرنسا ، اذا أضفنا ذلك عرفنا أن بعض ادبائنا يحبون « المصيدة » ، ولعل المشكلة تتعقد حينما نرى بعض هؤلاء « المهاجرين » يكتبون فى مصر بقلم ويكتبون فى هذه المجلات بقلم ، وقد تلاقيهم هنا يحملون وجها ثوريا شريفا ، فاذا قلبت مجلة من المجلات التى يكتبون فيها فى لبنان وجدت وجها آخر تكاد تنكره .. بل لابد أن تنكره !

ونحن هنا لسنا راغبين فى الاثارة لأنا لم نيأس منهم بعد ، الى حد أنا لن نذكر أسماءهم اكتفاء بالوقائع التى ستضع أيدينا جميعا عليها ، وأنا لا أزعم انى قمت بعملية مسح كاملة لمكاتب لهم فى بيروت ، ولكنى اكتفيت بالوقوف عند بعض المجلات التى تمكن من الحكم عليهم أولهم ، وان كانت السمة التى ستكون بارزة هى أن هذا اللون من الكتابة لايمثلهم فى كافة مراحلهم ، وان كان يمثل غرض وخطة المجلات التى كتبوا فيها .

وانا لاأزعم لنفسى أن كافة هذه الآراء خاطئة ، وان كنت أعتقد تمام الاعتقاد أنها تمثل هوى القائمين على هذه المجلات ، بما يتنافى ومسئولية الكاتب التى لايجب أن .. تتلون .. حسب الوطن والقيمة المستحقة وانما يجب أن تكون رسالة واعية مكتفية بقيمتها الذاتية ، وفى الوقت نفسه تكون رسالة شجاعة يجب على كاتبها أن يقولها ويتمزق دونها فى كل زمان ومكان .

فالكاتب الاول .. يتهم « فى العدد الخامس والسادس من مجلة أدب » جمهور الجمهورية العربية بالغفلة ، ويذكر متفكها بأنه يتصور أن « القاعدة والاستثناء » لو عرضت على مسارحها لصرخ بأن هذا العمل « مقلب » ولنادى « لنسترد نقودنا » ، ولقد عرضت هذه المسرحية بعد كتابة هذا المقال فاذا بالجمهور يستمتع بها وبغيرها كاعمق ما يكون

الاستمتاع ، مما جعل النقاد يجمعون على أن جمهورنا نجح فى الوقت الذى كان فيه التقصير قد يبدو فى النص ، أو الاخراج أو التمثيل ، أو الديكور ٠

ثم يرى هذا الكاتب ـ كجزء من خطة المجلة ـ أن الشرق الحالى تحكمه التقاليد ، والجمود السلطانى ، والتخثر الفكرى ، ثم يرتب كل هذا على الاسلام ، فهو يرى أن كل هذا قد نشأ «**بتأثير ديانة صحراوية اقليمية !** » ، وبحكام ظلمة ، ثم يضيف ضربة أخرى سريعة حين يذكر أن الحضارة الغربية بدأت بالمسيحية ، وأن الحضارة العربية بدأت بالاسلام ، ولكن الحضارة الغربية انتهت الى العلم الحديث فى الوقت الذى انتهت فيه الحضارة العربية الى الاسلام مرة ثانية ٠

ولما كان هذا الموضوع متصلا بالتراث فانا نراه فى الوقت الذى يعجب فيه بالتراث الأوربى ، لأنه يسهم « بشكل حاد » فى الكتابات العصرية ، والموسيقى العصرية ، والباليه العصرى ٠٠ نراه يلح دائما على الدعوة بأن ينسخ عندنا الجديد القديم ويدمره ، ولعل أغرب دعوى يسوقها لهدم التراث هى قوله : ان الشاب عندنا يجد العمارة الغربية الشاهقة ، والعمارة الشرقية القزمة ، وأن هذا التناقض فى « البناء » يجعل الشاب يرفض التقاليد جملة وتفصيلا ٠

ثم بعد أن يدين التليفزيون والاذاعة والمثقفين نراه يرفع شعارا يقول : « لو كان شىء يشرف هذا الجيل فهو تلمذته لسلامة موسى » ٠

والكاتب الثانى ٠٠ يلف فى كل مقال ويدور حول أن تراثنا لن يمدنا بمقومات تطويره ، وقد كنا نحب للكاتب أن يتمزق عند هذا الرأى ، وأن يصر على التمسك به ، ولكننا نراه فى العدد الخامس من مجلة «أدب» يطالب بالعودة الى الماضى ، بل يكاد يبكى ويتشنج بالفعل ويستدعى علينا التاريخ كله لأننا لا نلتفت ولا نعتكف على الفترة القبطية فى ظل الامبراطورية الرومانية ، وهو لا يكتفى بهذا وانما نراه يصفق لنجيب محفوظ لأنه كتب : عبث الاقدار ، وكفاح طيبة ، ورادوبيس ، ويرنم لعادل كامل لأنه كتب ملك من شعاع ، ويهلل لتوفيق الحكيم لأنه استوحى أسطورة مصرية قديمة فى عودة الروح ، ولعلنا نتساءل لماذا صمت عن الفرعون الموعود لعلى احمد باكثير ، والاجابة لا تخرج عن جزء من « الحرب بالصمت » ، التى تشن على هذا الكاتب لا لشىء الا لأن العروبة والاسلام أصبحت تشم فى أعماله ؟

ثم تجد الكاتب يدين فى مقاله ـ عن مسرحية الراهب ـ شعارات القومية العربية فى المنطقة ، ويذكر كلاما عجيبا لن نتحمل مشكلة تفسيره ، وانما نتركه للقارىء ايمانا بذكائه ، وقدرته على فهم ما فى السطور وما وراء السطور ، فهو يقول بالحرف الواحد :

« ان الراهب يحمل لواء القضية القومية كما ينظر اليها الدكتور لويس عوض فى نفس الوقت الذى تصطرع فيه المنطقة العربية بشأن هذه القضية ، والراهب يحمل ضمير عصرنا المعذب بين سلطان القيم القديمة والتطلع الى قيم جديدة ، والراهب أخيرا يحمل جانبا هاما من جوانب النظرة الشاملة التى يصوغها المؤلف فى هذه الدراما » ٠

والكاتبة الثالثة ٠٠ تهاجم مجلتى الرسالة والثقافة فى العدد السابع من مجلة حواء ، ثم توجه اهتماما خاصا الى الاستاذ أحمد حسن الزيات فتذكر أنه « دمغ كافة الفنون التى تطورت خلال العشر سنوات الأخيرة بأنها « خائنة » لروح هذا الشعب وتراثه وتاريخه الطويل » ولا شك أن من قرأ هذا المقال يجد أن كلمة « خائنة » غير موفقة وغير جديرة بأحد أساتذتنا الكبار ، ثم تذكر أن أحد رجال الصحافة حين أثار مناقشة عن المجلتين ارتفع توزيعهما ، ومن أجل هذا قرر عدم العودة الى الموضوع مرة أخرى حتى لايستمر « الرواج » ٠٠ للرسالة والثقافة ٠

وهناك كتاب آخرون يمكن أن نضعهم فكريا هنا فى أقصى اليسار ، فى الوقت نفسه الذى يمكن أن نعثر عليهم هناك فى أقصى اليمين ، وان كان الاطار الذى يحكمهم جميعا ، هو التقليل من الدعوة الى القومية العربية ، والهجوم على الدين الاسلامى ، ونحر التراث ـ على حد تعبير بعضهم ـ الذى ليس له الا وجه واحد هو الوجه الاسلامى ، واذا كان هذا لايمنع من الدعوة الى الوقوف والتأمل و « الوجد » عند الفترة الفرعونية ، والقبطية ، والفينيقية ٠

هذا جانب صغير من الجوانب الكبيرة التى نرجو أن نعود اليها فى مرة قادمة ، ونحن نعود الى التكرار ٠ اننا نؤيد حرية الكاتب بشرط أن يكون

شجاعا وقادرا على أن يقول كلمته فى وطنه – ولا حجر هنا على حرية الكاتب – قبل أى بلد آخر ، لا أن يظهر هنا بوجه ويظهر هناك بوجه ، أو أن تكون عيناه على « المكافآت السخية » المشروطة وعلى قلمه فى وقت واحد ، فنحن فى حاجة الى أدباء لا الى تجار ونحن فى حاجة الى أن نكون صوت أنفسنا بدلا من أن نكون صوت الآخرين ٠٠ الذين قد تظل تنداح بهم الدائرة الى أن نرى فى آخر الأمر وجوها تتنكرها المنطقة العربية ، أو أن نرى فى نهاية الأمر انا نتعاون بحماس مع أعدائنا خارج الوجود العربى !

رسالة الى ناقد ٠٠ فى رأس البر

سيدى الدكتور لك منى السلام ، ولقد وصلت الى اليوم رسالتك الكريمة ، وما كان لى أن أزعجك فى مصيفك الهادىء وانت فى نشوة الراحة مع « القبيلة »

ولكن الذى دفعنى الى هذا هو « ندوة صغيرة » جمعتنى ببعض الشباب واذا ببعضهم يذكر – وكأنه يبكى – بأنه لم يعد لدينا نقاد ، وأن النقد قد «صفى» تماما فى مجال الادب ٠

ويرد آخر : أنا استثنى الدكتور «لويس عوض» فهو ناقد جاد يحس بمسئوليته ازاء النقد ، مما جعلنا نراه – فى هذه الايام المحرقة – يطل علينا من البرنامج الثانى بالاذاعة ، ومن التلفزيون ، ومن الأهرام ، ومن الندوات ٠٠ دائما نراه ، وليس لهذا من معنى الا أنه يعتبر النقد رسالة ، عرقا ، ومعاناة، وتوجيها عميقا لصفوف جديدة فى عالم الادب ٠

ويقول ثالث : ولكنى فى حوالى شهر قرأت له تفسيرات غريبة يحكمها جميعا الدين ، فهو ينقد « الطريق » لنجيب محفوظ على أساس الأب والابن فى المسيحية ، وفى البرنامج الثانى ينظر الى « المستخبى » لشوقى عبد الحكيم فى ضوء فكرة التثليث المسيحية ، وقد أخذ بهذا الرأى أخيرا يوسف الشارونى فى العدد الأخير من مجلة المجلة ، وفى ندوة تاجى ذكر أن موسيقى مسرحية « يرما » كانت تعطيه معنى دينيا ، ثم نراه أخيرا فى الملحق الأدبى للاهرام « يحبس » صلاح عبد الصبور فى دائرة الخلاص المسيحية ٠

ويصمت هذا الزميل حين لا يرى أحدا يعارض هذا الاتجاه ، مادام الناقد يبرره ، ويقدمه فى شجاعة واصرار ، ثم مادام هو الوحيد الخصب فى «الحلبة» بينما الآخرون يغطون فى النوم ، وفى أضواء الشهرة القديمة !

ويتطوع الجميع بذكر أساتذة الجامعات فى النقد ، ولكنهم يعودون ثانية الى هز رؤوسهم ، والى النظر فيما يشبه الفراغ ، ولم يكن هذا يعنينى فى شىء فاكثر هؤلاء الجامعيين يعيشون فى واد والحركة الأدبية وفى واد آخر لأن أعينهم دائما على الطلبة وعلى « الكراسى » ٠٠ ولكنك أنت الذى أقلقتنى الى حد الازعاج ، فحين ذكرت اسمك كأحد الذين يستطيعون – لا الذين استطاعوا – الآن أن يعمقوا الحركة الأدبية بعمق وجدية تصل الى حمل السلاح ٠٠ رأيت البعض يصمت احتراما للذكرى ، والبعض الآخر يتململ دون أن يلقى فى دائرة الضوء بكلمة !! أية كلمة !!

ولقد ذبحنى هذا « الصمت » فأنا اعرف دورك العظيم فى الماضى الى حد انى استطيع أن أضع اصبعى عليه فى رؤوس الكثيرين ٠

وأنا اعرف أنك أصبحت فى مؤخرة رؤوس الشبان الذين معى ولكن أرجو أن تكون فى مقدمتها ٠

وأنا أعرف أن « عودة صادقة » تستطيع أن تعود بك الى القيادة الشاملة ، فكل الذين رأوك أخيرا تناقش احدى الرسائل الجامعية أجمعوا على أنك عدت للصبوة والاخضرار وانك لا زلت « فارس الفرسان » وكل الذين يقرأون لك « الابحاث التى تفرض نفسها على اسمك » لا « الابواب التى تكلف بها بسرعة » يحملونك فى مقدمة عقولهم ، ويحسون بشبابك العقلى يحرك أيامهم ، ويدفع معهم التاريخ !

انى أعرف أن هناك كثيرين لم يفقدوا ثقتهم فى مقدرتك ، ولكنهم اليوم ينتظرونك كأعمق مايكون الانتظار ٠٠ ان « معجزتك » أن تأتى الآن ، ومع أن البعض يخشى أن يكون انتظارا عقيما كهذا الانتظار الذى تعرفه فى مسرحية «فى انتظار جودو» لبيكيت، الا انى مؤمن بعودتك ، ولو رأيتنى الآن لوجدت الدمع يملأ عينى وقلبى ، وقلمى !

ان الجو الأدبى اليوم تحكمه ظاهرة المجاملة ، ويغص بالوشوشات المريضة ، والأقلام التى تتلون

كالحرباء ، وليس غيرك من يعود شاكي السلاح على فرس ابيض ليفسح بالسيف مكانا للكلمة ٠

ولست أنا وحدي الذي ينتظرك يادكتور « م »

ولكنى أنا وقومك يادكتور « م ٠ م »

ابو زكريا الفراء ٠٠ والدكتور احمد مكى :

فى لقاء سريع مع الدكتور احمد مكى الأنصارى المدرس بجامعة الخرطوم فرع القاهرة قال لى : ان رسالته الجامعية « أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة » قد تم طبعها على نفقة المجلس الأعلى للفنون والآداب بعد ثلاثة أعوام من الموافقة عليها ، وفى هدوء ذكرت أن رسالتى « الشعر الحديث فى السودان » قبلت مع رسالته فى يوم واحد ، وأنها لم تخرج من المطبعة الا حديثا ٠

كنا نتحدث بدون مرارة ، بل كان فى صوتنا شىء شفاف يشبه المرح ، لأن الدولة تبنت أعمالنا الجامعية ، وطبعتها على نفقتها ، ولأن المطابع فى الجمهورية العربية المتحدة ـ على كثرتها ـ مزدحمة بالمعرفة ، وبكل مايعمق الوجدان العربى ٠

ولا أدرى لماذا كان يخيل الينا أننا كنا نشبه من يعدو فى طريق طويل ، ثم حين قطعناه ، وجدنا هذا الشىء الذى يمكن الاستناد اليه ، والذى نستطيع اخيرا أن « نلقط » أنفاسنا فى ظلاله الرحيمة ٠

وحين ذكر الى الدكتور احمد انه مسافر غدا الى السودان ، ضممته الى قلبى ، ثم قبلت على جبينه السودان ، فقد استحال الى أشياء كثيرة أحبها هناك ٠

نموذج من قصيدة النثر :

الى الذين طلبوا منى نموذجا لقصيدة النثر ، بعد أن ظهر من يروج لها أخيرا فى بلادنا ، اقدم هذا النموذج بعنوان « شمعة أفيون » ليوسف الصائغ ، ولما كانت القصيدة طويلة فقد حاولت نقل بعض أجزائها الواضحة ليتسنى لى الفهم أنا الآخر ، ومهما يكن من شىء فاليكم شمعة الأفيون من أحد رجالها الكبار ٠

« اضاجع سريرى كل يوم ٠ أضاجعه فلا يحبل كل يوم أقبر فيه نفسى ٠

عند رأس مسيح معلق ٠ صلبته أمى ٠ وعلقته فوق رأسى أنا عفن ولحيتى طويلة ٠ وليس على منضدتى عطر ٠

أنا مخمور قذر ٠ شربت نهرا من الخمر ٠ ولم أغتسل منذ سنين ٠ واظافرى طويلة كالقضاء

تلفت فما وجدت أحدا ٠ حتى نفسى ابتلعتها الوحدة ٠ وبصقتها على الجدران فلونها وسخ

أيتها العجوز ٠ الا تقرئين لى كفى ٠ ألا تلمسين خط حياتى

أمى ماتت ٠ فدارنا وسخة بالذكور ، اشطفها كل يوم ٠ أشطفها فلا تنظف

الأبيض لن يكون أسود ، والحليب لا ينقلب الى ماء قولى « ان شاء الله » يا صبية أبيض أبيض لن يسود ، والأسود لايغسله الصابون

ان أمت فاين أقبر ؟ أى دود لايتقزز منى ؟ وعبثا تغسلنى أمى

سرتى مشدودة بالرحم ٠ فمن يسند لى رأسى ٠ هل مهدت سريرى ياأمى ٠ هل أسدلت النوافذ فلا يشمنا أحد ؟

مجنون أنا ماذا أريد ؟ أليس من شيطان أبيعه نفسى ؟ فوحدتى مسعورة كالحمى ، وفراشى أكلته أحشائى

ان لم تعودى فسأبيعك بقبلة سأشترى سواك من السوق

جميل أنت كشيطان وسأضاجعك حتى استنفد شهوتى ٠٠ الخ



مع آرنولد توينبى
ترجمة : محمد عبد الله الشفقى

ذكرت في العدد الماضى من مجلة الرسالة في مجال تعليقى على كتاب «اصول النضال الثورى القومى» انه قد حان الوقت لكى نقدم تاريخنا على حقيقته من خلال حركة الجماهير وليس من خلال الزعامات التى اصبحنا نعرف دورها جميعا .. وان تاريخ شعبنا ملك له وليس ملكا لزعماء معينين مهما كان دورهم في قيادة الحركة الوطنية – وقلت كذلك .. انه يجب ان تكون دراستنا لتاريخنا ليس لمجرد السرد المعدود – ولكن لكى نستخلص منه مايدعم حاضرنا ويقويه .. وبما اننا نتكلم عن التاريخ .. فسوف يكون من المفيد حقا ان نلم بآراء ووجهات نظر كبار المؤرخين .. امثال ارنولد توينبى ..

فارنولد توينبى يرى ان التاريخ تجميع لتجارب الأمس للافادة منها اليوم وبهذه الطريقة يستطيع الحاضر ان يستفيد من الماضى . ولكن كيف يستفيد الماضى من الحاضر ؟ وكيف نستغل الحاضر فى تعميق فكرتنا عن اناس عاشوا الماضى ، ونريد ان نعرف عنهم المزيد ؟

ويسلم توينبى بأنه لم يكن يستطيع تأليف موسوعة «دراسة للتاريخ» لولا دراسته للمسائل المعاصرة – مع ان هذه الموسوعة تتناول الماضى فقط – وهو يفسر هذا اللغز بقوله :

« ان العصر الوحيد الذى تضع فيه يدك على اناس احياء هو عصرك انت ، عندما تكون حيا . فاذا استطعت ان تضع يدك عليهم وهم احياء ودرستهم فى هذه الحياة – فانك ربما استطعت اذن أن تحيى الذين عاشوا عام ١٠٠٠ أو ٢٠٠٠ قبل الميلاد ولكنك اذا عجزت عن دراسة الاحياء ودراسة طبيعتهم ، عجزت من ثم عن دراسة الجنس البشرى فى اى عصر كان » .

وعندما سأله مستر رايت مبديا دهشته عن مكان الفرد فى هذه المدنيات التى تحدث عنها فى كتابه « دراسة للتاريخ » قال ارنولد توينبى .. «تلك نقطة هامة – اليس كذلك» ؟ ذلك لان المرء عندما يستعرض تاريخ الماضى ، يجد قلة من الافراد الذين صنعوا التاريخ . اننى افكر الآن فى المستر تشرشل عام ١٩٤٠ ، عندما كتب يقول : انه يشعر بأنه يسير مع القدر . وكان يقصد بذلك : انه

مسئول شخصيا عن صياغة مجرى الامور . ولكنى اومن بأن الناس جميعا هم الذين يصنعون التاريخ ربما كان المستر تشرشل قد قام بدور الزعيم ، ولكن لو لم يتبعه خمسون مليونا من الرجال ، والنساء ، والاطفال البريطانيين ، لما كان لهذه الزعامة وزن يذكر . ان لكل واحد قيئا وزنه فى التاريخ ، وان يكن هذا بدرجات متفاوتة . ومهما يكن الامر فان الافراد هم الحقائق الوحيدة فى التاريخ ، اليس كذلك ؟ ليس هناك غير الصلات بين الكائنات البشرية ، واذا كان التاريخ لايكتب على يد الكائنات البشرية ، فانه لا يكتب على يد اى شئ آخر . ان كل شئ يصاغ ويتحلل ، كل شئ يخلق ويتحطم ، كل شئ ينجح او يفشل كل هذا يتم على يد الافراد . ولايزال توينبى يعيش فى المدينة الكبيرة التى راى فيها النور «لندن» ولكنه يحن الى الريف ، ويحب الفلاحين ، وعندما سأله مراسل آخر ساعة عما يريد ان يراه فى زيارته الاولى لنا — اشار الى الفلاحين قائلا : اريد أن اشاهد ما فعله جمال عبد الناصر للفلاحين .. ووراء حنين ارنولد توينبى الى الريف وحبه للفلاحين قصة وفلسفة ..

فنى الرحلة الطويلة التى استغرقت سبعة عشر شهرا زار توينبى عواصم كثيرة فأحس بالضيق .. ويقول فى هذا الصدد .. « اما بالنسبة لعواصم العالم فانها كلها تزداد ضخامة ، وتشابها ومغناطيسية . انها تجذبك الى بيتها — بيت العنكبوت — وتتآمر معها جميع وسائل النقل وما ان تقتنصك حتى ترفض اخلاء سبيلك . انها لاتستطيع ان تتصور انك تريد ان تهرب منها حقا الى الريف — ولكن الريف — حتى فى يومنا هذا، مازال هو العالم الحقيقى . ان العاصمة لاتمثل البلد فى قليل او كثير . ولقد ولدت فى لندن ، وعشت فيها طوال حياتى .. ولكنى اذا اردت ان اعد دراسة جادة عن موطنى فساهرب من لندن واذيب نفسى فى هدرزفيلد ووربنجتون . ان عجز العاصمة عن تمثيل وطنها هو احد عيوبها النوعية، غير ان هذا العجز يصل الى الذروة فى هذه البلدان — وهى تمثل الغالبية — التى تمر اليوم بمرحلة المدنية . ذلك لان التمدين يبدأ فى المدن ، وهو يشكل حياة الحضر وفقا للانماط الغربية ، وهكذا نجد ان الهوة بين العاصمة والريف — فى امريكا اللاتينية والبلدان الآسيوية هائلة جدا ، كما انها آخذة فى الاتساع المنتظم . مثال هذا انك تشعر وانت تدخل طهران ، وكأنك قد خلفت وراءك ايران — التى تعتبر طهران عاصمتها الرسمية . ولو قد وضع جنى عابث مدينة طهران موضع ليما ،ووضع ليما موضع طهران فى ليلة واحدة ، فان الفلاحين الايرانيين وفلاحى كوتشوا سيجيئون الى السوق فى صباح اليوم التالى كالمعتاد ، ومن المحتمل انهم لن يكتشفوا حدوث ادنى تغير . فليس اغرب من وجود ليما داخل وطنها ، وليس اغرب من وجود طهران داخل ايران . والاثنتان متشابهتان تشابه حبتى بسلة . واذا كان هدف المسافر هو رؤية عواصم العالم ذات الطابع الموحد ، فأحرى به ان يجنب نفسه عناء حزم حقائبه . وايثما كان المرء ، فلابد من ان يصطدم بهذا النتاج الذى صنعه عصرنا الحديث . ويقول توينبى عن رحلته ..

« لقد ضاع الكثير — الكثير جدا من شهورى الثمينة السبعة عشر فى الذبول داخل العواصم . وضاع الكثير منها فى الاندفاع داخل الطائرات. غير انى لم افقد تماما تلك المعركة التى خضتها مع هذين العدوين اللذين يترصدان المسافر : العاصمة والطائرة . لقد مررت فوق ذؤابات اشجار غابة الأمازون مستقلا طائرة برمائية ، وارتقيت احد وديان ايران الخفية ممتطيا ظهر حمار ، وتسللت فى طريق سايك عند « بترا » سيرا على الاقدام. ان هذه اللمحات للعالم الحقيقى شذرات لا تقدر بثمن .

وقد تعرض كتاب توينبى — « دراسة للتاريخ » الذى صدر فى ستة اجزاء بلغ مجموع صفحاتها ٣٤٨٨ صفحة — لهجوم كثير من الكتاب — وقال المؤرخون عن بعض آرائه انها غير منطقية ، او غير صحيحة ، او غير واقعية ، وضربوا لذلك امثلة منها تأكيده لدور الدين فى التاريخ ، فهو يعتبر

التاريخ « رؤية للرب وهو يكشف عن نفسه في الاحداث لأرواح تسعى اليه في اخلاص » – وكذلك معارضته للنزعة العسكرية والنزعة القومية – واعتراضه القائل بأن للمجتمع شكلا، وهو الافتراض القائم على اكتشافه لملامح عدة تتكرر في جميع المجتمعات .

ولكن كان هناك من يدافع عن هذه الاتجاهات الواضحة في منهج توينبي ، ومنهم ريتشارد تشميز الذي قال : –

« ان الكبار والمؤثرين من واضعي النظريات – من امثال ماركس وفرويد وتوينبي – لا يحققون أثرهم القوى بفضل التكامل المنطقي لنظرياتهم ، وانما لأنهم يملئون فراغا يحس به الناس احساسا لا شعوريا يملئونه بقوة عاطفتهم الأخلاقية ، والحاحها » وكتب جميز فيبلمان مقالا مطولا – عن كتاب توينبي « دراسة للتاريخ » قارنه بمؤلف شبنجلر « انهيار الغرب » غير أنه أشار الى أن توينبي يتفوق على شبنجلر من حيث ان الأول ذو نظرة روحية غير ضيقة ، فتوينبي لم يعتبر انجلترا مركز العالم – أما شبنجلر فألف كتابه من وجهة نظر المانية محضة .

ويتناول توينبي في كتابه المجتمعات أو المدنيات الرئيسية الست الموجودة في عالم اليوم ، وهي المجتمعات أو المدنيات الغربية ، والمسيحية الاورثوذكسية ، والاسلامية ، والهندوكية ومدنية الشرق الأقصى . ولقد بلغ من استيعابه للموضوع الذي يتحدث عنه – وهو موضوع ذو ابعاد زمانية ومكانية معقدة – أن قال عنه فيبلمان : « ان توينبي يألف كل مكان ، سواء كان القرى الصغيرة في موطن أي فرد ، أو الاركان النائية للارض في أي عصر .. وهو يحول كل قصة – بلمسة منه – الى شيء مشوق » . وقارن البعض كتابه بمؤلف جيبون الشهير « تدهور الامبراطورية الرومانية وسقوطها » غير أن المدنيات والمجتمعات الموجودة في عالم اليوم لا تشكل كل الأبعاد التي تناولها في « دراسة للتاريخ » – لقد بلغ مجموعها ستا وعشرين مدنية عاشت خلال ستة آلاف عام من تاريخنا . وتأمل توينبي هذه القرون ، ثم خرج بآراء في تاريخ العالم مثيرة جدا . وقد انتهى به البحث الى أن جميع المدنيات تنتهج نمطا واحدا ، وأن نمو مجتمع أو تدهوره هو نتيجة التحدي الذي يواجهه هذا المجتمع ونوع الاستجابة التي يقدم عليها وهو يرد على هذا التحدي .. ويضرب لذلك مثلا : –

« في يوم من الأيام كانت صحارى افريقية الشمالية خصبة بصورة رائعة ، وكانت تحتضن جمعا غفيرا من الصيادين . وبمرور الوقت جفت هذه السيول ، وهربت الحيوانات ، وواجه الصيادون تحديا كبيرا ، جاء هذا التحدي في صورة السؤال: كيف يعيشون ؟

ولم يكن بعض الصيادين بقادرين على مواجهة هذا التحدي ، لم يكن بمقدورهم أن يغيروا أسلوب عيشهم . لقد أصروا على أن يظلوا صيادين ، فمات فريق منهم وعاش فريق آخر على الكفاف – في صورة متوحشين متأخرين .

غير أن فريقا آخر استجاب للتحدي بأن وقف في وجهه وواجهه :

لقد شرع يصوغ حياته من جديد . هاجر هذا الفريق الى وادي النيل ، وترك الصيد وشرع يجتث الأحراش ويجفف المستنقعات وينشيء المزارع الجميلة ، وكانت النتيجة أن ازدهروا وخلقوا تلك المدنية المصرية الرائعة التي عاشت زهاء أربعة آلاف عام : »

وقد كتب توينبي عن مشكلة اللاجئين العرب في كتاب « من الشرق الى الغرب » متحدثا عن قطاع غزة .. وهو في هذا الحديث انما يتكلم بلغة رجل المدنيات الانسانية – بنظرة شاملة – تلك النظرة التي تحمل الى حد ما طابع التفكير الغربي – والانجليزي بالذات .. فهو يقول :

« واذا كان تسعمائة ألف لاجىء فلسطيني قنبلة، فان مائتي الألف الذين يذوون في قطاع غزة هم فتيل هذه القنبلة المتفجر . هنا يكمن الخطر الذي **يهدد أمن العالم والذي يتحدى أيضا ضميره .** ولا يمكن حل هذه المشكلة البشرية الملحة دون تضحيات مؤلمة من جانب جميع الأطراف المعنية ـ اسرائيل ـ والدول العربية ـ واللاجئين أنفسهم. ومن واجب العالم أن يصر على التفاوض من أجل الوصول الى حل ، وان يدفع بسخاء لكي يذلل عقباته . واذا استعرضنا أمم العالم جميعا وجدنا أن العبء الأكبر من المسئولية يقع على عاتق بريطانيا والولايات المتحدة ، وفي هذه النقطة على الأقل لا نستطيع أن نكذب حجج العرب » .

ويقول كذلك في موضع آخر :

« ليس أمام اللاجئين سوى التفكير مليا في الظلم الذي وقع عليهم . لقد أساء الألمان الى اليهود ، غير أن العرب ، لا الألمان ، هم الذين دفعوا ثمن الأخطاء التي ارتكبها الألمان وتم هذا على يد البريطانيين والأمريكيين الذين انتصروا على الألمان الأعداء ، ويبدو هذا في أعين العرب مؤامرة دبرتها أمم الغرب للقضاء على شعور العرب بالذنب تجاه اليهود ، وذلك بتعويض اليهود على حساب العرب ، ويتمثل رد الفعل ، في قلوب اللاجئين ، في الاصرار بعناد على رفع الظلم الواقع عليهم ـ يجب اعادتهم الى أراضيهم وحقولهم في ظل حكم غير اسرائيلي ـ فما الذي سيحدث لليهود الذين استوطنوا الأرض العربية التي أخذت عنوة ، ويبدون لمن منذ عام ١٩٤٨ ؟ وبرد العرب . لقد خلقت انجلترا وأمريكا هذه المشكلة وعليهما أن تجدا لها الحل » .

وعلى الرغم من أن رد العرب خلاف ما ذكره ارنولد توينبي وخاصة فيما يختص باعتماد العرب على انجلترا وامريكا في حل القضية الفلسطينية الا انه بمنطق رجل المدنيات ـ كما ذكرت سابقا ـ ومن وجهة نظر رجل الغرب البريطاني أيضا يقول .. وهو رد منطقي ـ لكنه غير بناء .. ولكن المهم هنا هو أن توينبي عرض القضية بأمانة اما من جهة الحلول التي يراها ـ فهي اشياء فيما اعتقد تخص شعبنا أكثر من غيره .. وهو يعرف الطريق الى حلها .

قراءات فى المجلات العربية



يقدمها : مصطفى فوده مصطفى

● ايهم نصدق !!

لا أحد كالفنان تختلف الأحكام النقدية من حول فنه · فناقد يرفعه الى عنان السماء مقتنعا به وبفنه وبما يضيفه من قيم جديدة الى التراث البشرى ، وآخر يخسف به وبما ينتج الأرض لأنه فى نظره دجال لم يأت بحقيقة تستحق الاحترام ، وبخاصة اذا كان الفنان يعايش من لايزالوان يدبون على وجه الأرض ويمشون فى الأسواق ويزاحمهم فى الصنعة ويجرى وراء الرزق ليختطفه قبل أن يقع فى أيديهم ، وليأخذه من بين أسنانهم ان استطاع ·

انه والحالة هذه يخضع أكثر لما يخضع له البشر فى حياتهم من حب أو بغض ومن رضى أو سخط فمن أحبه فهو كليل العين عن عورته ومن سخط عليه أبدى كل مساوئه · لذا كانت أحكام المعايشين موضع الشك دائما ، فقد تكون صادرة عن هوى يحب · أو عن احنه تجيك فى الصدر ، تكره الفنان أو تحقد عليه ·

ولعل شعر صلاح عبد الصبور وبخاصة فى ديوانه « أحلام الفارس القديم » مثل طيب لاختلاف وجهات النظر اذ أنكر به صلاحا ناقدان أحدهما شاعر، على حين قلده الثالث امارة الشعر بعدشوقى وما كنا لنعرض لما قيل لولا هذا الاعجاب الذى بلغ من ثالثهم حد اصدار براءة لاتدافع بامارة لم يرض عنها الشعب — الشعراء — أو يعضدها العقلاء — النقاد — فأى امارة هذه التى يفرضها ناقد وحده ! فى اعتقادى أن الأولى أن نقول عنها انها أمارة — بفتح الهمزة — على الحب يربط بين ناقد وشاعر · ناقد كان استاذا وشاعر تتلمذ عليه · أكثر من كونها امارة للشعر · والا لصفق لها النقاد وهلل الشعراء ورضى بها الجميع ·

ولنر معا ماذا قال الأستاذ عن تلميذه · ثم ماذا قال الآخران عنه · يقول الدكتور « لويس عوض » تحت عنوان « الخلاص بالموت » : « **منذ أن مات شوقى وربة الشعر فى حداد ، وقد ظل بنوها يعزونها من بعده ثلاثين عاما بعذب الأنغام وحلو التواشيح ، ولكن الأم الثكلى لا تريد أن تكفف الدموع لأن شوقى كان أكبر بنيها وعماد سبطها وأمير بلاطها ·**

واليوم بكى صلاح عبد الصبور فجفت الدموع فى عينيها واضاءت البسمة فى ثغرها وصفق قلبها طربا، ومن درعه نضدت الدر فى تاجها الجديد وحين تستكمل لآلىء تاجها ، وتوشى ثوبها الفاخر الجديد سوف تخرج من عزلتها وتخلع عنها شارات الحداد ، وتمشى مزدانه وضاءة بين وصيفاتها من عرائس الخيال لتجلس على عرشها الخالى وتفىء مرة اخرى على العالمين » ثم يقول :

« **وأثبت صلاح نهائيا وبما لا يدع مجالا للشك ان عمود الشعر الجديد قد اقيم وأن انقاض ذلك المعبد الأثيل الذى انهار بموت شوقى قد ازيلت**

وارتفع مكانها البناء الجديد ، وهو تيار لم يبلغ بعد فخامة المعبد القديم ولكن الأساس يوحي بان ماسيكون شيء ستفاخر به الأقدمين ، وماعلى صلاح عبد الصبور الا أن يتم بناء هيكله على هذا القرار لنضع في يده لواء الشعر العربي وتنصيبه عميد شعراء العربية المحدثين في كل الأمصار » •

وهكذا يظل الدكتور لويس عوض يخرج في قصائد ديوان صلاح فعنده : أن الله خلق العالم ثم لم يعجبه ماخلق فسخط عليه وأعمله • وعنده : أن الحياة هي الموت والموت والحياة سيان • وعنده : أن لا منجاة من الموت الا بالاندماج في ذات الله • وعنده : أن أبا العلاء المعرى بنى تشاؤمه على أسباب موضوعية صحيحة أو باطلة ، أما صلاح فيبنى تشاؤمه على امتناع الوصول • وعنده : أن صلاحا يدعو الى الوحدة لأن بها وحدها يتحقق الصفاء • وعنده : أن الله أنسى الانسان فلم يجد الانسان بدا من أن يذكر الله به •

وهكذا بمثل هذه التخريجات استحق صلاح أن يكون أمير الشعراء بعد شوقي • في رأى الدكتور لويس •

أما الشاعر الناقد « مجاهد عبد المنعم مجاهد » فيتكلم عن نفس الديوان ونفس القصيدة في عدد يوليو من مجلة الشعر • وهو يرى أنه : « **لما كان يغلب على معظم قصائد الديوان خلوها من التجربة والموقف الجزئي واللحظة الجزئية والنموذج المشخص ، فان معظم القصائد يسقط عنها أحد المكونين الأساسيين اللذين يجعلان القصيدة عملا فنيا ناضجا مما يدخلها في قالب التقرير والتعليق** » •

وبعد أن يدلل على رأيه بأبيات من القصيدة التى استحق بها صلاح في نظر الدكتور امارة الشعر استأنف حديثه قائلا : « **وتظل القصيدة هكذا خالية من التجربة والدخول في موقف يقتضي بالضرورة النابعة من داخله الدعوة الى التغرب والانكسار •• بل ان خلو القصيدة من التجربة ، يجعلها تتسرب الى الحكمة والتعليق والخطابية وبهذا تترصع القصيدة بكل مايوجهه شعراء الشعر الحر الى الشعر النهجي من عيوب** » ويأتي بأبيات أخرى يقول بعدها : **ان الموقف يظل أمام الشاعر بدلا من أن يعيش من داخله ويعلق عليه بدلا من أن ينمو من أبعاده الداخلية** » •

ثم يتكلم عن قصيدة أخرى للشاعر هي قصيدة « لوركا » ويدلل بها على أن الشاعر لم يضع يده على ظاهرة التركيب الدرامي بعد • ثم يقول بعد هذا : « **ان خلو العمل الفني من الخلفية الفلسفية هو الذي جعل القصائد تفقد أحيانا الطابع الشعرى ، فلم تعد لغة الشعر عنده لغة تبنى كونا ، فضاعت في أفعال الأمر** » •

اذ أن الشاعر عند هذا الناقد لا يستحق ولا حتى امارة شعر « حواس » •

ولعل الدراسة التى قدمها « محيى الدين محمد » في مجلة الشعر — عدد يونيو — ساعدت أكثر على تفهم المكان الذى يليق بالشاعر لأن محيى قارن بينه وبين شاعر غربي تكلم في نفس الموضوع « مقتل لوركا » ، ولقد خرج محيى بهذه الاحكام : «**ان صلاحا يبدأ كمايبدأ الشعراء التقليديون فيضفى على الطبيعة نفسها حزن الانسان وشقاءه ، كما بدأ القدامى وتصوروا ان الخلفية الطبيعية من سماء وجبال ونجوم تقف حدادا على الميت وتنعيه باصوات لها أو بسكون •• والمأساة عند صلاح خارجية بحت •• كما كانت المأساة عند قدامى شعرائنا •• ومظاهر الموت التى يستخدمها صلاح تجعل الموت مجرد حدث طبيعى •• ثم يفشل ويقع في أزمة تعبيرية عنيفة عندما يريد ابلاغ النكبة الى الآخرين ••• ثم هو يستخدم مادة الحادثة ويضرب صفحا عن وهم الواقع الذى يشكل الجانب الانفعالى في القصيدة التى بدأت وانتهت بدون أن يرتبط بها القارىء اطلاقا لأنها انفعال غريب ، عليه آثر الشاعر أن ينحى عواطف القارىء وأن يصدر وحده الأحكام** » •

فأى امارة يستحقها الشاعر عند هذا الناقد بعد قوله هذا ؟! وأى النقاد الثلاثة نصدق ؟

أنا شخصيا أميل الى جانب « مجاهد ومحيى » • فقد حاولا جاهدين اقامة صلة روحية بينهما كناقدين وبين الشاعر والجمهور • برغم ماشاب نقدهما أحيانا من تحميل للمعنى فوق مايحتمل ، الا أنى أحسست أن الاخلاص كان رائدهما ، ولم أحس أنهما أرادا أن يفرضا على آرائهما وانطباعاتهما الشخصية وذوقهما المعين ، كما لم يقفا منى موقف الأستاذية والريادة أو يشعرانى بارستقراطيتهما في النقد على حد تعبير بعضهم الذى سئل وما الارستقراطى في النقد • فقال : « من يود أن يفرض نفسه في كبرياء وعجرفة تقوده نزعة موجهة تزعم في ارستقراطية واعتداد أنها تعرف مقدما مايحتاج اليه الشعب فتفرض عليه ألا تحتاج الى شيء آخر غير الذى تريد أن تحتاج

اليه · والا يفكر الا على ضوء تفكيرها وهواها » ·

ويكفينا من « محيى ومجاهد » أن نقدهما يتسم بالموضوعية والأمانة والتسليم للقصيدة المنقودة تسليما كاملا ، فهما لا يلجآن فى الحكم عليها الا اليها وحدها ، وحكمهما مقصور على العلاقة القائمة بين القصيدة وبين الغرض الذى يرمى اليه الشاعر ·

بقيت لى ملاحظة على ماأورده النقاد من قصائد يستشهدون بها · وهى أن صور تلك القصائد لاتنبثق بشدة ولا تنطلق الى الأمام بقوة ، كما أن مافيها من معنى ليس مصيبا بالضرورة أو له من اليقين ما للعقل المباشر الذى ينتقل من انسان لآخر عندما يكون الجو الانسانى الداخلى قد طهره الصفاء والبساطة ·

ولقد عرف بعضهم الشاعر بأنه : من يسهم فى الكشف عن القوى المصيرية · وياله من مصير يائس ذلك الذى ينبع من الحزن وتمنى الفناء · أتراه فى يأس من المستقبل · وحتى ان كان كذلك · لكن اليس معنى فى أن غرس السعادة فى أعماق الانسان وتزويده بطاقة من الأمل · قوة جديدة تبعث فى الانسان القدرة على العمل من أجل غد أفضل ·

ولئن كان الشاعر هو : من يمتلك القدرة على الهامنا وفتح طريق اليقظة امامنا · فما جدوى الشعر الذى يترك فينا بلبلة اليأس وركود اللامبالاة ؟

سؤال يحتاج الى جواب ·

***

● ولقد أرسل الأديب « فتحى سلامة » رسالة يقول فيها :

حتى أنت لم تعطنا فى حديثك عن « نهرو » اهم ما يجب أن يعطى وهو حالة الهند فى عهده · لقد أكلت البرجوازية الهندية عظام الشعب الهندى وفشلت الهند فى اقامة دولة ديموقراطية سليمة تقف أمام تجربة الصين أو الاتحاد السوفيتى ، وفشلت حكومة الهند أيضا فى رفع مستوى المعيشة · رغم جهاد نهرو فى سبيل الصورة التى كان يحلم بها الرجل وسلفه العظيم (غاندى)

ورغم شعبية حزب المؤتمر الذى أنشاه انجليزى يدعى هيوم سنة ١٨٨٥ ، فقد انضم اليه الشعب الهندى وفشلت التجربة الانجليزية بانضمام غاندى ونهرو ومحمد على · وقاد غاندى حرب الاستقلال الفريدة فى نوعها بطريقته المشهورة ومن خلفه نهرو ·

ولكن رغم تحقيق الاستقلال ورغم فوز حزب المؤتمر بالأغلبية الساحقة سنة ١٩٣٧ · فان الحزب كان يواجه مشكلات وظروفا لم توجد فى اى بلد آخر : انقسام هائل بين المسلمين والهندوك أدى الى انقسام الهند نفسها الى دولتين · واختلاف طبقى حاد ، فاحد المهراجات مثلا كان يمتلك ولاية باكملها ورثها عن ابيه ، فى الوقت الذى يأكل فيه فقراء الهنود المسامير ، آلاف اللغات والأديان ، تحكم استعمارى رأسمالى ، أعلى نسبة أمية فى العالم ، نظم أوجدتها الشركة الهندية لخيرها فقط ·

ومع كل هذا فنهرو يؤمن بالديموقراطية ويؤمن بالهند ، ويعيش حياته كلها لقضيتها ولكن الديموقراطية لم تستطع أن تجلب الرفاهية لشعب الهند · وجلس نهرو يفكر فى الوقت الذى يجلس فيه عملاق أصفر بجوار الهند يقوم بتجربة جديدة وفى الوقت الذى ينظر العالم كله الى الهند على أنها أعظم تجربة ديموقراطية فى آسيا ·

رحم الله نهرو · فقد مات وهو يحس بمرارة تجربة حزب المؤتمر الذى أراد الديموقراطية الاشتراكية العلمانية ، ولكنه توانى عن كبح جماح الرأسمالية المستغلة فزيفت الشعارات والتهمت قوت الشعب ولم تحارب الاقطاع وظلت أجهزة الاعلام فى الدولة أسيرة الراسمالية والاقطاع ·

ولقد كان حزب المؤتمر يقوم على التحالف بين الملاك والرأسمالية والعمال والفلاحين ولكن هل مثل هذا التحالف ممكن ؟ كان لابد للصراع من أن ينشب فى النهاية بين هؤلاء وأولئك ، وكان لابد من الغلبة لفئة على أخرى ·

ولكن نهرو ـ يرحمه الله ـ كان يؤمن بالسلام والوفاق وبالهند · فراح يحاول التوفيق بين كل الفئات لخلق مجموعة متناسقة تعمل لصالح الهند · ولكن شتان بين صاحب الأرض الذى يحلم باتساعها وبين أجير هذه الأرض الذى يحلم بامتلاك قطعة منها·

وهكذا ظل نهرو الزعيم المثالى المؤمن يفكر فى ايجاد الحل الوسط لصالح الهند ، ولقد مات والهند عضو هام فى دول عدم الانحياز ، وتضع جنديا مسلحا يحرس حدودها مع العملاق الأصفر · وآخر يحرس حدودها مع باكستان ·

رحم الله نهرو القائد الذى حقق للهند تجربة تحتاج الى دراسة وفهم فهى فريدة فى نوعها حتى الآن ·



صوفى .. من بولندا
بقلم خميس سلمونه

فى شهر يونيو الماضي تكون قد مضت سبع سنوات كاملة على وفاة الشاعر البولندى « ليوبولد ستاف » ولقد كان بحق شاعرا فذا وقصاصا بارعا .. نزح عن الدنيا بعد بلوغه سن الثمانين وترك وراءه الروائع الخالدة فى الشعر والفكر ، وفى اخريات ايامه زهد فى الدنيا فقال بلهجة صوفية تدل على شفافية نفسه وملائكية روحه ..

انني آخر ابناء عصرى
وسدت الثرى اصدقاء اعزاء
ورايت تقلبات العصر وعشت فيها
وتغيرت مع طفرات الحياة
وعشقت الطبيعة والانسان
ونظرت الى المستقبل بعين فاحصة
واحببت الاستقلال والحرية
وصادقت الرياح والسحب
حتى كرهت الدنيا
التى لم يعد بها ما يشدنى اليها
حتى فقدت جاذبيتها عندى
سارحل
وتمثالى الضخم وهتافات الشعب لى ..
سأترك كل هذه الامجاد الزائفة
فى حجرة خالية يكون صمتها
ابلغ من صمت القبور

وتعددت كتابات « ستاف » حتى وصلت ميدان المسرح فاثراه بعدة روايات ناجحة جعلته يتبوأ مكانة لائقة ومنحته حكومة (بولندا) عام ١٩٥١ ارفع جائزة لديها لمواقفه المأثورة فى عالم الادب وانتاجه الخصب الدائب الذى يجدد فيه نفسه ، كيف لا ! وهو الذى عاصر ثلاثة اجيال كاملة .. يختلف فيها كل جيل عن الآخر بمنهجه واسلوبه وخصائصه .. وقد كان وديعا .. طالما يسير الهوينى معتمدا على عصا نحيلة سابحا فى عالمى الشعر والفكر .. مؤمنا بالآخرة .. زاهدا فى الدنيا لبريقها الزائف وزخارفها الزائلة .. مؤمنا بالاخرة ونعيمها الدائم وخلودها السرمدى .. مؤمنا بالروح .. والروح الطاهرة

الى عدو العرب
للشاعر احمد عبد اللطيف بدر

اسود القلب هائم فى ضلاله
بين حقد معبر عن حاله
من خبال يثير كل ... شئ
طبعه اللؤم آية لخباله
قد تربى على صغار ، وذل
ينطوى سره على اذلاله !
لايرى فى الحياة غير « وصول »
بالدنايا ، وخسة فى فعاله
لايقول غير « انا » وتراه
قد تدلى فى فعله ، ومقاله !!
طائش اللب ، جاهل ، عبقرى
عن غرور يشيع فى أوصاله
عرقه نابض « بتل ابيب »
منكر الحق ، كاره لرجاله

ونضال الاحرار سوف يريه
خيبة القصد فى نفاق نضاله !
كل حر يعيش شهما ، ابيا
رافع الراس ابدا بين آله !
وعد « بلفور » لن يقيم بناء
خاله فى الوجود طوع خياله !
والعدو الاثيم عاش غويا
« مخلب » القط عالقا بحباله
سوف يفنى مجال كل ضلال
لكن العدل ثابت فى مجاله !!

تصويب
بقلم احمد الشريف

ذكرتم فى قائمة كتب العقاد وتواريخ صدورها ان كتابه « الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين » قد صدر فى سنة ١٩٦٠ والحقيقة انه صدر فى نوفمبر ١٩٥٩

وكتاب « شعراء مصر وبيئاتهم فى القرن الماضي » وصحة فى الجيل الماضي .

تعليق
بقلم الغزالى حرب

لم يكد مقالى « من آثار العرب فى صقلية » يرى النور ، حتى جمعتنى المصادفة السعيدة بالصديق الحميم ، والأديب المكين ، الأستاذ وديع فلسطين ، الذى ابلغنى عن الأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن ، ما اسجله هنا انصافا للحقيقة والتاريخ ، واحاطة باطراف الموضوع :

اولا : طبع ديوان ابن حمديس باللغة العربية فى بيروت بتحقيق الدكتور احسان عباس .

ثانيا : طبع هذا الديوان فى رومية باللغة العربية منذ خمسة وستين عاما تقريبا وان كانت معظم تعقيباته الهامشية ، ومقدمته باللغة الايطالية .

ثالثا : اننى لم اشر فى مقالى الى الكتاب الذى طبعته دار المعارف للدكتور احسان عباس فى « آثار العرب فى صقلية » .

واقول : شكرا جزيلا للأستاذين الجليلين ، اللذين اصارحهما باننى لم اسعد مع الاسف بقراءة كتاب الدكتور احسان عباس ، حتى اشير اليه من بعيد او قريب ، ولم ار فى دار الكتب او غيرها ديوان ابن حمديس المطبوع فى بيروت باللغة العربية ، فليس فيها الا طبعة واحدة هى الطبعة المشار اليها برقمى ١٤٥٩ ، ١٤٤٦ ادب ، وعبارة « طبع سنة ١٨٩٧ فى رومية الكبرى المسيحية ، وقف على طابعه وتصحيحه الفقير الى الله جلستينو سكيابللى »

ومعظم التعقيبات والمقدمة باللغة الايطالية ...

فمتى نرى هذا الديوان باللغة العربية شعرا وشرحا وتقديما فى مكتباتنا الكبرى بجمهوريتنا العربية المتحدة ؟ ومتى نرى « المكتبة الصقلية » باللغة العربية كاملة ؟ ذلك مارجو ... وشكرا جزيلا .

وفوق كل ذى علم عليم

« مقالات .. فى سطور »
« حسنى الطحاوى »

● ان العصر الذهبى للانسانية .. لم يكن ابدا وراء ظهورنا .. وانما هو ماثل فى تحسين الوضع الاجتماعى .. فآباؤنا لم ينعموا به قط .. ولكن اطفالنا سوف يسعدون به يوما ما .. ومن واجبنا ان نهيىء لهم الطريق الى هذا اليوم .

● الانسان ان لم يهلك نفسه بالقنبلة الذرية .. فانه سيدمر نفسه بوقت الفراغ الطويل الذى سيخلقه العصر الذرى .. واذا لم توجه الجماعات البشرية اوقات الفراغ وجهة سوية .. انتشرت الجرائم .. وسيطر الترويح التجارى المنحرف على امزجة المواطنين .

● الخدمة العامة تعتبر من اسمى ما يمكن ان يقدمه الانسان للآخرين .. ومجالا صالحا لابراز كيان المواطن الاجتماعى فى المجتمع .

● لا كرامة لجائع ، ولا قوة لمريض ، ولا طمانينة لمن لا عيش له ، لا مقاومة ولا صمود لمن لايطمئن الى غده .. ومن لايشعر بأن حوله مجتمعا يكفله ويرعاه .

● الحرية لا معنى لها مع الحرمان والمرض والخوف والتعرض لمخاطر الزمن .

● ان التاريخ يتجه فى سيره نحو تحقيق السعادة للانسانية .. وان من واجب الافراد ان يعملوا حتى يحققوا هذه السعادة لانفسهم .

● ان الحب هو العروة الوثقى التى ينهض عليها صرح المجتمع .. فالحب هو الذى يبث الحياة فى جوانب المجتمع .. والفرد لا يعيش الا من اجل هذا الحب الذى اذا تمكن من تحقيقه ادرك السعادة القصوى .

● ان لم تكن قد اعطيت الناس نفسك .. فانت لم تعطهم شيئا .

البحث عن منى

بقلم الدكتور نجيب الكيلانى

الناس يضحكون منى ، لان الفرق شاسع بينى وبين من ابحث عنها ، أنا رجل عجوز ، ضعيف البصر عيناى كعملتين فضيتين لكنهما زائفتان ، ولحيتى كثة مهملة بيضاء لكنها مغبرة ، وغضون جبهتى تزيد وجهى الشاحب قبحا ، وملابسى الرثة المرقعة تفضح حالى اكثر مما تستره ٠٠ أما هى « منى » ابنتى فلها وجه وضاء ، وعينان واسعتان ، وبشرة خمرية ،وجدائل شعرها الفاحم تنسدل على كتفيها٠٠ ولصوتها نغمة حنون دافئة ٠٠ منى هى حياتى وحبى وأملى ٠٠ لها أعيش ٠٠ لكنى فقدتها ٠ ٠ حافظت عليها منذ أن ماتت أمها ، لكن صاحب البيت طردنا من الحجرة الحقيرة التى كنا نقيم فيها مقابل قروش قليلة ، بحجة تقصيرنا فى دفع الايجار وخرجت أنا ومنى نبحث عن لقمة العيش ، وكنا نتسول ٠٠ نستجدى المارة ، فنجمع قروشا وملاليم وبضعة أرغفة وبرتقالة وليمونة وقرصين او ثلاثة من الطعمية ٠٠ كان ايرادنا لاباس به ٠٠ وفى المساء لانكلف أنفسنا مؤونة البحث عن مسكن ٠٠ فهناك عدد كبير من الارصفة الخالية ٠٠ ما ألذ ليالى الصيف على الارصفة ! لكن الشتاء كان قاسيا لايرحم كبعض بنى البشر الذين يلوون وجوههم عنا ، ونحن نطلب الاحسان ٠

وذات مساء ذهبت «منى» ابنة الخامسة عشرة لتحضر لى جرعة ماء ٠٠ ولست أدرى أطال الوقت أم قصر اذ لم يكن له فى ذهنى حساب أبدا ٠٠ نحن نأكل ونعيش ولا ننام جائعين فلماذا أفكر فى الوقت ! وقبل أن تعود منى ٠٠ جاءنى شرطى قاسى الملامح ٠٠ ارتبط فى ذهنى هو الآخر بليالى الشتاء وقال الشرطى فى حنق :

ـ «هيه ٠٠ ماالذى أبقاك هنا حتى هذه الساعة من الليل » ؟

قلت دون أن أتبين ملامحه تماما :

ـ وأين أذهب ؟

ـ الى بيتك ٠

ـ ليس لى بيت ٠

ـ يبدو أنك لا تعرف أن التسول جريمة ٠

ـ اية جريمة ؟

فقال دون أن يعير تساؤلى اى التفات :

ـ وان عقوبته السجن ٠

ـ وما ذنبى ٠

ـ انت غبى ٠

ـ فلتعطنى منزلا ٠

فازدادت لهجته جفافا وغلظة ، وحسبنى أسخر منه ، وأسخر من القانون ، فانقض على بلا رحمة وجذبنى من ذراعى الواهنة حتى أوقعنى وقال :

ـ متسول ٠٠ ووقح أيضا ٠٠ هيا أمامي ٠

وهتفت في استغراب :

ـ الى أين ؟

وتشبث بملابسي من خلف العنق ودفعني أمامه وقال :

ـ الى قصر عابدين ٠٠ الملك يريد مصاهرتك ٠ ماذا تظن ! ؟ ألا تعرف الطريق الى قسم الشرطة ؟ لاشك أنك سرت فيه عشرات المرات ٠

ولم يكن من المعقول أن أقاوم ، فأنا بالنسبة له حشرة حقيرة من السهل سحقها ، ثم ان القانون في صفه ، القانون الذي يعتبر التسول جريمة ، لكنني تذكرت أمرا هاما وأنا أسير أمامه بقوة دفع يده القوية ، تذكرت «مني» ، فدق قلبي ، وانتابني ذعر هائل ، واستطعت أن أقف برغم دفعه لي ، قوة مجهولة انبثت في كياني ، فامتلأ بالشجاعة والقدرة على المقاومة ، فصرخ الشرطي في غيظ :

ـ أتعصي أوامري ؟

فقلت في ذلة :

ـ لمن أترك مني ؟

ـ اتركها للشيطان ٠

ـ لكنها ابنتي ٠

ـ لعنة الله عليك وعليها ٠

ـ وليس لها أحد ؟

ـ وما شأني بها ؟

ـ لاشك أن في قلبك رحمة ٠٠ ألست مؤمنا ٠

ولم أشعر الا وكفه الغليظة تصفعني صفعة قوية اهتز لها كياني اهتزازا ، وقال :

ـ دعك من هذه الألاعيب ٠

وانسابت دموع حقيقية من بين أهدابي ، وتطلعت اليه بعينين كعملتين زائفتين وهتفت في صوت جريح ضارع :

ـ ارحمني ٠٠ لسوف تعود « مني » ولا تجدني فأين تذهب المسكينة في جوف الليل ؟

فرد دون اكتراث :

ـ عندما تسأل عنك ، فستسير في نفس هذا الطريق ٠٠ لاشك أنها متسولة مثلك ٠

ولم أستطع المقاومة هذه المرة ، فقد هدتني المأساة ، وذهبت عني قوتي ، وسرت ذليلا في الطريق المعتم الى قسم الشرطة ، لم أكن أرى شيئا من حولي ، الظلام هو كل شيء ، حتى الشرطي نفسه لم أعد أشعر بغير يده الغليظة التي تقبض علي وتدفعني الى الامام ، صورة (مني) هي التي كانت تحتل رأسي ، لسوف تعود بالعلبة الصفيحية مملوءة بالماء ، وستجد مكاني على الرصيف خاليا ، وستتلفت يمنة ويسرة باحثة عني ، ولن تجدني ٠٠ يالها من مسكينة ! الى أين تذهب ؟ وكيف تنام وحدها ٠٠ والدنيا ليل ٠٠ والليل أشباح وذئاب؛ لسوف تبكي المسكينة وتنتحب ، ولن تجد من يجفف لها دموعها ، ويضمها الى صدره في حنان ، ويربت على ظهرها عطفا وبرا ، لسوف تضيع في الظلام والزحام لأنها وحيدة صغيرة لاتملك شيئا ٠٠ وسيكون الرصيف المهجور كئيبا مكفهرا لا أنس فيه ولا متعة ٠

والتفت الى الشرطي وقلت :

ـ أليس لك أطفال ؟

ـ ياقوة الله ٠٠ وما دخلك أنت يارجل ؟ أتفتح لي محضرا ؟

ـ أنت لاتعرف كم أحب (مني) ٠

فانفجر الشرطي ضاحكا بغير مناسبة وقال :

ـ احبك برص ٠

ثم أردف بلهجة جدية :

ـ يارجل دعك من هذه الحركات ، انها لن تنطلي على ٠٠

كانت ليلة مشئومة ، لقد وجدت حجرة في القسم أنام فيها ، لكني افتقدت (مني) ودفاءها وبراءتها ، بل افتقدت نفسي ، وحكم علي بالسجن شهرا ، خرجت لأبحث عنها بعد قضاء مدة العقوبة ، كنت آتي الى الرصيف المعهود وأسأل الرائحين والغادين : من منكم رأى (مني) الحلوة ٠٠ ابنتي ؟ فيضحكون وينصرفون عني ساخرين ، وبعضهم يسقط في يدي نصف قرش ، فأتلقفه شاكرا ٠٠ وأعود أسأل : دلوني على (مني) حبيبتي ، خذوا

روحي واعيدوها الى ، فلا أتلقى من أحد جوابا الا رميى بالجنون والعته أحيانا ، وبالخبث والتحايل أحيانا أخرى •

ثم قبض على مرة ثانية •

وعدت الى السجن لأقضى فيه شهرا ونصفا بتهمة التسول •• والتسول جريمة يعاقب عليها القانون وعائذا أخرج بعد الافراج عنى ، والمفرج عنهم دائما يفرحون ويستبشرون لأنهم سيجدون من ينتظرهم لدى باب السجن ، هناك الأذرع المفتوحة والأحضان والزغاريد والقبلات والتهاني •• أما انا فأخرج من الباب وحيدا ضائعا •• الناس من حولى كثيرون ، لكنى وحيد دائما •• وحيد •• أبحث عن (منى) دون جدوى •

هانا أجلس على الرصيف المعهود ، والأضواء من حولى محتضرة ، واشعر بالجوع ينهش فى معدتى والجو شديد البرودة ، وقطرات خفيفة من المطر تنزل على راسى ، وعلى الأجزاء المكشوفة من جسدى وكأنها دموع السماء المكتظة بالسحب القاتمة ، وفى فؤادى دموع من نوع آخر •• لقد جفت دموع عينى وهاهو قلبى يبكى من أجل (منى) التى ضاعت فى عرض الدنيا الواسعة ، لكن الجوع يعاودنى ، فأحلم بكوب من الشاى الساخن ، وارى شبحا يقترب منى فيراودنى الأمل ، وتمتد يدى النحيلة المرتعشة واهتف بصوتى الباكى بالعبارة التقليدية التى تنطلق منى دائما دون وعى ، بمناسبة وغير مناسبة :

ـ لله •• لله يامحسنين •• الحسنة بعشرة أمثالها •

وتقترب منى خطوات تدق الارض فى غلظة ، فتثير فى نفسى الرعب والخوف ، استطيع أن اميز مثل هذه الخطوات بسهولة لانى خبير بها ، هى لشرطى لاشك فى ذلك ، ولاول مرة اشعر أن فراستى قد خابت ، والعتب على النظر ، كم أنت كريم يارب، هاهو الرجل يمد يده فى جيبه ويخرج قرشا يعطيه لى ، لكنه يظل واقفا ، فاقول :

ـ شكرا لك •• رزقك الله الستر فى الدنيا والآخرة •

وعندما اهم بوضع القرش فى جيبى ، يجيئنى صوته الأجش قائلا :

ـ هاقد قبضت عليك متلبسا بالتسول •

فيغوص قلبى، وتتسارع دقاته ، ويتنابنى يأس قاتل ، فاضرع اليه :

ـ أنا راجل مسكين، وابحث عن ابنتى الضائعة•

لكنه أمسك بيدى فى عنف وتمتم :

ـ نحن ننفذ الأوامر •

ـ لكنك يجب أن ترحمنى •

ـ الرحمة لها ثمن •

ـ ماهو ؟

ـ أن تدفع جنيها •

ـ جنيها •• ؟ ماذا تقول ؟ اتسخر منى ، ام ا. أذنى لاتسمعان جيدا ؟•

فقال الشرطى فى نبرة حاسمة :

ـ تلبسون المهلهل من الثياب وتنامون على الذهب ، انا اعرف المتسولين •• تجمعون المليم على المليم وتكونون الثروات •

فرددت عليه ذاهلا

ـ لكنى يابنى لم أغادر السجن الا ظهر اليوم •

فجاءنى جوابه صارما :

ـ الدفع أو السجن •• أيهما تختار ؟

ـ لكنى أبحث عن (منى) •

فظن بى تبالها وغباء مصطنعا ، فزمجر :

ـ حسنا •• هيا معى فقد تجدها هناك •

البرد يجمد الأطراف ، وقدماى الحافيتان قد تخدرتا تماما ، وفكى يرتعش على الرغم منى •• ولقمة الخبز الجافة تبدو فى خيالى كأمنية عسيرة المنال ، وابنتى (منى) كالأسطورة الحالمة ، كالحلم الشجى .. والدنيا كلها من حولى حرمان وظلام وضياع ، وانا كالميت الحى يسعى الى قبره ، والشرطى يسير نشطا مرتديا ملابسه الصوفية ، ويدندن بصوت أجش عار من الجمال والحنان :

«هلت ليالى القمر» •• ثم يلتفت الى مواسيا :

ـ لاتحزن •• فى السجن ستجد الطعام والبطانية والبرش النظيف، لو كنت مكانك لفضلت الاقامة فيه طول حياتى •

واخذت الكلمات تنطلق من فمى دون وعى :

ـ انت لاتعرف « منى » •• انها حلوة ولها قلب كبير •• وساظل ابحث عنها •• لعلى أجدها •• آه اين انت يا حبيبتى •• اين انت ؟؟



العدد ٥٨

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر